مسرحيات شكسبير

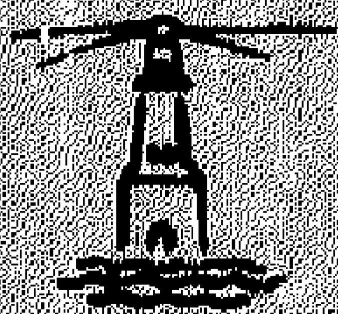
جامعة الدول العربية
الإدارة الثقافية



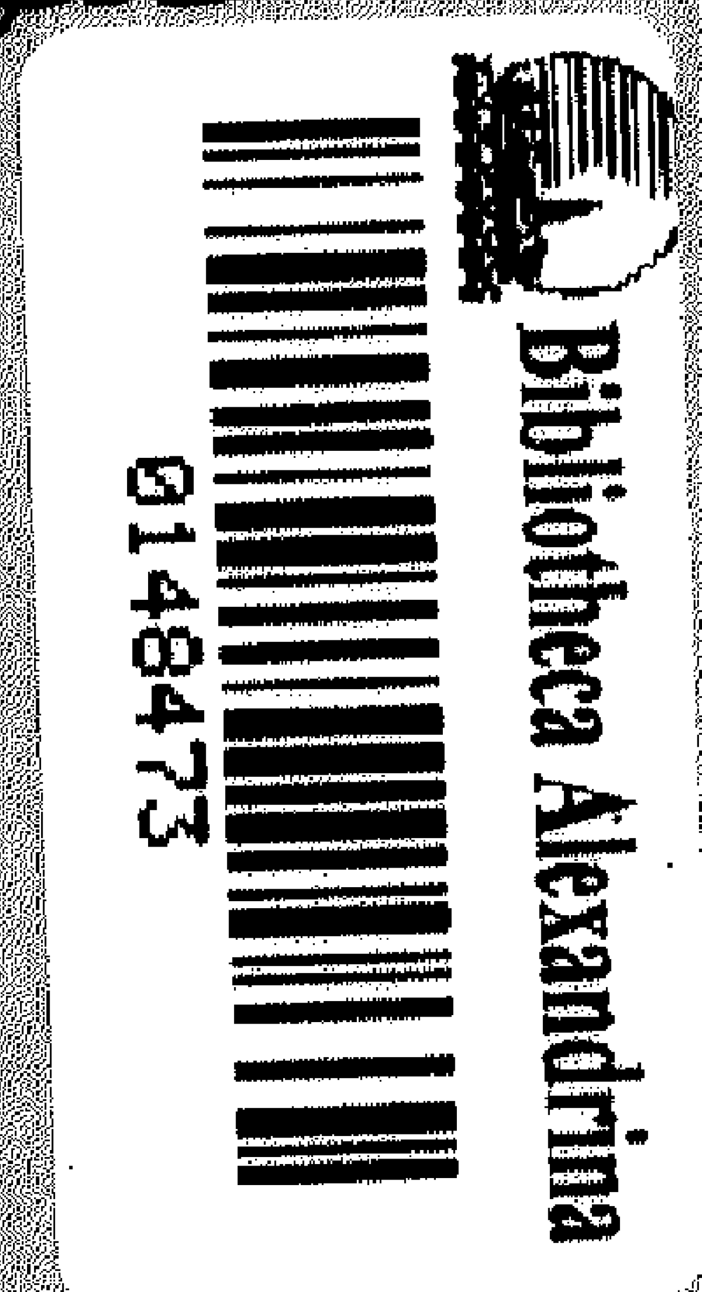
تتوس أندرونيكوس

ترجمة

صفية ربيع



دار المعارف



مسْرحيَات شكسْبير

جامعة الدول العربية
نظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

تيتوس أندرونيكوس

ترجمة

صفية ربيع

مراجعة

كتور محمد عوض محمد   دكتورة سهير القلماوى

الطبعة الثالثة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

مقدمة الترجمة

كاتب المسرحية :

يقال أحياناً إن شكسبير ليس هو الذى كتب تلك المسرحيات الرائعة التى خلدت اسمه وجعلته أعظم الشعراء فى العالم الغربى إن لم يكن فى العالم أجمع ، وإن كاتبها الحقيقى هو لورد بيكن العالم والسياسى الذائع الصيت ، وليس هنا موضع بحث هذه النظرية الخيالية . وبيان ما فيها من بعد عن الحقيقة ، وإنما أشرنا فى هذه المقدمة إشارة عابرة لنقول إن أصحاب هذه النظرية البيكنية أنفسهم لا يمكن أن يدعوا ، ولا يرغبون فى أن يدعوا ، أن هذه المسرحية التى نقدمها للقارئ الآن قد كتبها لورد بيكن . ذلك أن الأساس الذى تقوم عليه نظريتهم هو فى ظنهم ما تنطوى عليه المسرحيات من علم غزير ، وخبرة واسعة بأحوال الناس ، ونزعة عقلية فلسفية لا تتاح لرجل مثل شكسبير . وإنما تتاح لرجل أوتى من العلم والخبرة والفلسفة ما أوتى لورد بيكن . ذلك ما يقولونه عن المسرحيات الكبرى وبخاصة المآسى العظيمة ، وهو ما لا يمكن أن يقال عن هذه المسرحية . فهى مليئة بالمناظر المرعبة . وبالفجاجة ، والهمجية والقسوة ، وما إليها من عيوب .

وفى المسرحية نفسها ما لا يترك مجالا للشك فى أنها من وضع شكسبير .

ذلك أن بين أشخاصها وأشخاص مسرحية شكسبير الأخرى شبهاً كبيراً . وإذا راعينا أنها من أولى المسرحيات التى كتبها شيكسبير تبين لنا أن أشخاصها ، مع قليل من التطور الذى لا بد أن يخلعه الزمان على أفكار الكاتب وشخصياته ، هم بعينهم أشخاص المآسى الكبرى، أمثال هاملت، وليدى ماكبث ، والملك لير ، وكوريولينس ، وغريب مع هذا التشابه الكبير ألا يكون كاتب هذه المسرحيات الكبرى هو كاتب مسرحية تيتوس أندرونيكوس. وأغرب من هذا أنه يوجد كاتبان مسرحيان متقاربان فى العبقرية الفنية ، يعيشان فى زمان واحد ، وأن يخلق أحدهما شخصيات تكاد تكون هى بعينها التى يخلقها الآخر . ثم يطوى اسم هذا الكاتب الثانى ويترك للحدس والتخمين .

تاريخ المسرحية :

إن أقدم طبعة من هذه المسرحية باقية حتى الآن ، هى الطبعة التى صدرت فى عام ١٦٠٠ ، والتى يقال فى عنوانها إنها مثلت قبل ذلك الوقت ، وكانت هى أساس الطبعة الثانية التى صدرت فى عام ١٦١١ ، ثم ظهرت طبعة أخرى منها فى عام ١٦٢٣ ووضعت بين مسرحيتى كوريوليس وروميو وجولييت . ويستدل من هذه الحقائق على أن المسرحية كانت معروفة قبل عام ١٦٠٠ وأنها مثلت قبل ذلك التاريخ وبعده ، كما يستدل منها أيضاً على أن الناشرين وقد وضعوها بين مسرحيتين ، لم يكن أحد

يشك فى أنهما من وضع شكسبير ، لم يكونوا هم أنفسهم يشكون فى أنها من قلم الشاعر الكبير .

وإذا لم يكن لدينا نسخ مطبوعة من هذه المسرحية قبل عام ١٦٠٠ ، فليس معنى هذا أنها لم تطبع قط قبل ذلك الوقت . ذلك أننا نجد إشارات لها فى بعض الكتب المطبوعة وقتئذ أو حواليه ، مضافاً إليها أنها كانت مطبوعة فى عام ١٥٩٤ . بل نجد ما يدل على أنها مثلت فى ٢٣ يناير من عام ١٥٩٣ .

على أن هذه الحجج لا تحدد تاريخ تأليف المسرحية ، وإن حددت تاريخ طبعها أو تمثيلها . غير أنه لما كان الإقبال على المسرحيات الجديدة وتمثيلها عظيماً فى تلك الأيام ، فإنا لا نظن أن مؤلفاً مثل شكسبير كان يترك مخطوط مسرحياته معطلا فى مكتبه زمناً طويلا . إذن فمن حقنا أن نستنتج أن تيتوس أندرونيكوس قد كتبت حوالى عام ١٥٩٠ أو بعده بقليل ، أى حين كان شكسبير فى سن الخامسة والعشرين تقريباً . ومن شأن هذه الحقيقة نفسها أن تدل على أن المسرحية وما فيها من فجاجة ونقص فى الصقل هى من ثمار الجهود الأولى التى بذلها شكسبير فى كتابه «المآسى الدموية» والتى أثمرت فيما بعد تلك المآسى الكبرى التى هى مثلها «مآس دموية» ولكنها تمتاز عنها بالتسامى بأعمال العنف ورفعها عن الهمجية والوحشية .

مصدر القصة :

ليس لدينا قبل أيام شكسبير مصادر يمكن أن يقال إن مسرحية تيتوس أندرونيكوس ، أو المسرحية الأخرى المماثلة لها والمسماة تيتوس وفسپازيا ، قد أخذت منها أو اعتمدت عليها ، غير أن لدينا صوراً ألمانية وأخرى هولندية لهذه المسرحية ، متأخرة فى تاريخها عن مسرحية شكسبير ، ولكنها لا تعتمد على مسرحية الشاعر الكبير نفسها ، بل تعتمد على قصة أو قصص أخرى أقدم منها وأكثر فجاجة .

ويؤكد الباحثون المحققون (أمثال مستر فلر Fuller والأستاذ بيكر Baker أن القصتين الهولندية والألمانية تعتمدان على قصتين إنجليزيتين مختلفتين مثلتهما فرق إنجليزية مختلفة ، وأنهما لا يمكن أن تكون إحداهما هى مسرحية شكسبير التى لدينا الآن . ويبدو أن هذه المسرحية مزيج من قصتين متفرقتين — أو أكثر من قصتين — كانتا منتشرتين فى أوربا وانجلترا قبل أيام شكسبير .

فأما أولاهما فهى قصة « المغربى الشرير» حيث نرى القتل والاغتصاب يرتكبهما مغربى مدفوع إليهما بالانتقام والحقد الدفين ، وأما الثانية فهى قصة «السيدة البيضاء والمغربى» وهى قصة تدور أهم حوادثها حول الدسائس الشهوانية القائمة بين سيدة بيضاء ، هى ملكة فى الأغلب الأعم ، وعبد زنجى . ويمزج شكسبير بين هذه العناصر وبين ما نستطيع أن نسميه

العناصر السياسية فى المسرحية . ونعنى بها العلاقة بين تيتوس والإمبراطور ، وهذا المزج هو الذى يحبه شكسبير ويخترعه إذا لم يكن موجوداً من قبل فى القصة . ذلك أن شكسبير يعمد فى معظم مآسيه ومساليه إلى الجمع بين قصتين كثيراً ما يستمدهما من مصدرين مختلفين ، ولعل أهم ما تمتاز به عبقريته ، هو هذه القدرة العجيبة على مزج موضوعين متباعدين ، والجمع بينهما فى موضوع واحد . وهذا الجمع يتيح له فوق ذلك فرصة ذلك التمييز الدقيق بين أشخاصه المتشابهين وهو التمييز الذى استغله إلى أبعد حد . ونجد ذلك واضحاً أتم وضوح فى مسرحية الملك لير ، فى لير وجلوستر . وكرديليا وإدجر ، وإدموند وريجان وجنريل ، حيث تمتزج أوجه الشبه القوية بالفوارق الدقيقة .

ولقد كانت حبكة تيتوس أندرونيكوس قبل أن يتناولها شكسبير معقدة التعقيد الذى يوائم ذوق الشاعر الكبير ، ولكنه لم يكتف بهذا ، بل خلق فيها شخصية أكريوس ليبرر بعض التبرير حقد تامورا على أندرونيكوس وأسرته ، وليظهر لافينيا بمظهر الضحية البريئة .

أشخاص المسرحية

نعيد هنا ما قلناه من قبل ، وهو أنا نجد أمثلة قريبة بعض القرب أو كله لأشخاص هذه المسرحية فى مسرحيات شكسبير الأخرى مع التطور الذى لا بد أن يثمره نضوج الشاعر واكتماله عقليته .

ولنقل الآن كلمة عن أهم هؤلاء الأشخاص :

تامورا ملكة القوط :

لقد جمع شكسبير فى أخلاق هذه السيدة بين الشهوانية والوحشية من جهة وبين ما خلعه عليها من عظمة لا يمكن أن يخعلها على الأشرار من النساء غير شكسبير وحده من جهة أخرى ، ويحرص شكسبير فى أول ظهورها أمام تيتوس على أن يتيح لها الحجة التى تعتذر بها ، وإن لم تبرر بها أعمالها المقبلة . ولقد كانت الأعمال الوحشية التى عومل بها ابنها الأكبر أكريوس كافية لأن تثير فى طبيعتها القوية الشديدة الانفعال رغبة جامحة فى الانتقام الرهيب .

لكنها أوتيت من الذكاء وقوة البديهة قسطاً كبيراً امتازت به عن غيرها من شخصيات المسرحية ولم يفارقها إلا فى اللحظة الأخيرة الحاسمة حين أرادت أن تستغله إلى أقصى حد .

وبفضل هذا الذكاء أدركت أن من واجبها أن تراوغ وتخدع ، وأن تستدرج تيتوس وأسرته فيأمنوا ويطمئنوا . وهى امرأة ذات جمال ناضج ، ماهرة فى الدس والوقيعة ، تعرف من أول نظرة كيف تفتن ساترنينوس الشهوانى الضعيف ، وكيف تستغل خوف تيتوس وغيرته منه .

وتسيطر تامورا على المسرحية من أولها إلى آخرها ، وليس آرون (هارون) نفسه إلا رسولا وعاملا لها ينفذ خطتها الرهيبة ، بسرور يمليه

عليه حقده ، ولكنه لا يجني منه خيراً لنفسه . ولا شك فى أن تامورا أسيرة حبها لآرون . أو أنها ، كما كانت سميراميس التى شبهت بها فى المسرحية أو كترين إمبراطورة الروسيا ، أسيرة شهواتها النهمة التى لا تشبع . ولقد أدت هذه الشهوات والرغبات آخر الأمر إلى سقوطها .

وإنا لنجد فى تامورا دراسة مبدئية لشخصيتين أخريين من شخصيات شكسبير ، هما ليدى مكبث وكليوبطرة .

تيتوس أندرونيكوس :

ولننتقل الآن إلى شخصية أخرى من الشخصيات البارزة فى المسرحية هى شخصية تيتوس أندرونيكوس نفسه عدو تامورا الذى انتصر عليها آخر الأمر . ونقول منذ البداية إنه أقرب الشخصيات إلى الملك لير ، ولولا أننا نخشى أن يطول بنا البحث ويتشعب ، لكتبنا الشيء الكثير عن أوجه الشبه بين بطلى المسرحيتين ، فلنترك هذا إلى القارئ الناقد ، وحبسنا أن نقول هنا إنه قد خاب أمله ، كما خاب أمل لير إذ وجد نفسه مهملا لا يأبه به أحد ، وإن ذلك كان ثمرة عمله وقسوته على أكريوس وظلمه للافينيا وبسيانوس ، وقتله ولده ، وفيه أيضاً شبه كبير لكوريولينس وهامات . وإن لم يكن صورة طبق الأصل من أحدهما ، بل هو الدراسة المبدئية لهما .

وتيتوس إنسان نفاج ، مولع بالتشامخ وبالتظاهر ، أكثر من أى شخص آخر فى المسرحية لكننا نراه فى آخر الأمر رجلا جبارا قويـًّا ،

وليس من طراز الرجال العادى .

ولننتقل الآن إلى الشخصية الأخرى من شخصيات المسرحية ذات الدرجة الأولى فى الأهمية ونعنى بها شخصية آرون (هارون) ، فنقول يبدو أن شكسبير قد حاول محاولة كبيرة — وإن لم ينجح فيها إلا بعض النجاح — كى يخلع على شخصية المسرح الدنيئة المنحطة بعض النزعة الإنسانية .

ونقول إنه لم ينجح إلا بعض النجاح لأن آرون ينحدر فى أواخر المسرحية ، فيصبح الشخص الفظيع الشرير بحق ، وهو فى هذا قريب الشبه بإياجو ، كما يشبه من بعض النواحى ريجان ، وجنريل ، وكلوديوس ، ورتشارد الثالث فى المسرحيات الأخرى ، وكلها شخصيات كثيرة الوجود فى عصر النهضة القريب من أيام شكسبير ، وحسبنا أن نذكر من أشخاصها البارزين آل بورجيا وآل ميديتشى فى رومة وفلورنس .

فقد يبدو أن عصر النهضة الذى كان عصر إحياء للفنون والآداب ، قد قضى أو كاد على الضمير الحى . وأن موجة المسيحية السائدة فى العصور الوسطى والوثنية التى جاءت مع النهضة . قد محت الأخلاق محواً ، كما نرى هذا فى كتاب الأمير كتاب « الشيطان المنزل » الذى يعلم الإنسان كيف ينسى كل ما هو شريف ، ونبيل ورحيم ، من المبادئ الأخلاقية .

ولا عيب فى شكسبير فى هذا فهو إنما يمثل لنا فى هذا الشخص

وأمثاله طرازاً من العصر الذى يعيش فيه ، ولا نستطيع أن نقول عن هؤلاء الشياطين إنهم خارقون للطبيعة ، بل إننا نجد حتى فى أيامنا هذه أناساً لا يقلّون فى قسوتهم وظلمهم عن آرون نفسه ، وقد رأى شكسبير أن آثام آرون وآثام (إياجو) أشد من أن يكفرا عنها بالموت ، فاستبقى هذين الوغدين لعذاب أشد هولا فى آخر المسرحيتين .

لوسيوس :

ترق شخصية لوسيوس وتتطهر على يدى شكسبير كلما تقدمت المسرحية ، وهو أقل اشتراكاً فى فظائعها بعد مقتل ألريوس من غيره من الأشخاص ، وليس قتله ساترنينوس بعد أن طعن هذا أباه إلا عملا أملته الغريزة البشرية ، نجد له ما يبرره . وأهم ما يميزه من الصفات هو حنانه الأخوى الذى يهتم شكسبير على الدوام بتصويره .

كذلك لا يعوز لوسيوس حبه لأبنائه أو أبيه ، وإن دفاعه عن هؤلاء أمام محامى الشعب (التربيون) لدفاع جميل بحق . .

ساترنينوس وبسيانوس :

الأخوان المطالبان بالتاج . ونجح أحدهما وأخفق الآخر . فأما ساترنينوس ، فهو شخص حقير ذميم كافر بالنعمة . مرتاب ، ضعيف ، قاس ، عبد لشهواته .

أما بسيانوس ، فهو إنسان فاضل ،ومحب ثابت ، وزوج كريم ، ورجل شريف ، طيب القلب ، سريع العفو ، يغفر لتيتوس ما أراد أن يوقعه به من ظلم . وهو من أكثر أشخاص المسرحية طهراً، وأعلاهم قدراً .

المهرج :

بقى بعد ذلك أن نقول إن المسرحية لم يعوزها المهرج كما يظن البعض . والمهرج شخص يدخله شكسبير فى مسرحياته ليقلل من عبئها الثقيل على النظارة وبخاصة فى المآسى ، ويمثله فى هذه المسرحية الفلاح حامل سلة الحمام .

وكثيراً ما يستمد شكسبير شخصية أولئك المهرجين من الفلاحين السذج فى إنجلترة .

وخليق بنا أن نختتم هذه المقدمة بقولنا إن تيتوس أندريونيكوس ، هى أولى المحاولات التى بذلها شكسبير فى كتابة المأساة ، فهى عمل رجل يتعلم وفنه ينقل عن سابقيه ، وإن كان مدركاً لمواهبه العليا يخشى أن يدخل تبديلا كبيراً على حبكة القصة ، لم يبلغ من المهارة فى ضم حبكة صغرى إليها ما بلغه فى مسرحياته التالية ، لكنه أوتى القدرة على تمييز الأشخاص وعلى إضفاء النزعة الإنسانية على الأشرار ، وفيها يظهر اهتمامه بالمشاكل النفسية والخلقية ، وهو الاهتمام الذى يعود إليه فى مسرحياته التالية ويوضحه

أعظم توضيح . وهو فيها المسيطر على موهبة الشعر النبيل والبلاغة القوية . وأكبر الظن أنه مدين بهذه الموهبة المزدوجة إلى مارلو ولكنه استخدمها أعظم استخدام فى كتابة المسرحية .

محمد بدران

تيتوسْ أندرُونيكوسْ

أشخاص المسرحية

ساترنينوس : ابن إمبراطور روما المتوفى ، ويعلن انتخابه إمبراطوراً فيما بعد Saturninus

باسيانوس : أخو ساترنينوس ، محب للافينيا Bassianus

تيتوس أندرونيكوس : نبيل رومانى ، وقائد جيوش الرومان فى حربهم ضد القوط Titus Andronicus

ماركوس أندرونيكوس : زعيم من نقباء زعماء الشعب وأخ لتيتوس Marcus Andronicus

لوكيوس : Lucius

كوينتوس : Quintus

مارتيوس : Martius

موتيوس : Mutius

(لوكيوس، كوينتوس، مارتيوس، موتيوس: أبناء تيتوس أندرونيكوس)

لوكيوس الصغير : صبى ، ابن لوكيوس Young Lucius

ببليوس : ابن ماركوس أندرونيكوس Publius

سمبرونيوس : Sempronius

كايوس : Caius

فالنتين : Valentine

(سمبرونيوس، كايوس، فالنتين: أقرباء تيتوس)

إيميليوس : نبيل رومانى .Emilius

ألاربوس	أولاد تامورا :	Alarbus
ديمتريوس	أولاد تامورا :	Demetrius
شيرون	أولاد تامورا :	Chiron
هارون أو آرون	: رجل مغربي وعشيق تامورا	Aaron
ضابط ، وزعيم ، ورسول ، ومهرج		
جماعة من القوط والرومان		
تامورا	: ملكة القوط	Tamora
لافينيا	: ابنة تيتوس أندرونيكوس	Lavinia
مربية وطفل أسود		
شيوخ وزعماء وضباط وجنود وحاشية		

الفصل الأول

المنظر : روما والمنطقة القريبة منها

المنظر الأول

تظهر المقبرة الخاصة بأسرة أندرونيكوس ، وفى أعلى المنظر يقف الزعماء وأعضاء مجلس الشيوخ ثم يدخل ساترنينوس وأتباعه من باب ، ويدخل باسيانوس وأتباعه من الباب الآخر ، ومعهم جميعاً طبول وأعلام .

ساترنينوس : أيها المواطنون النبلاء ، يا حماة حقّى ،
ذودوا عن عدالة قضيتّى بالسلاح .
يا أبناء وطنى ، يا مريدىَّ المحبين ،
دافعوا بسيوفكم عن حقّى الشرعى فى الملك .
إننى أنا الابن الأكبر لآخر من
حمل تاج روما الإمبراطورى فوق رأسه .
فاجعلوا أمجاد أبى تعيش فى شخصى .
ولا تعتدوا على حقّى بوصفى ابناً أكبر بهذا الامتهان .
باسيانوس : أيها الرومان ، أصدقائى ، وأتباعى ، ومناصرى
فى حقّى . إذا كان لباسيانوس ، بن قيصر ،
قدر فى نظر روما الملكية

فأمنوا له الطريق إلى « الكابيتول »[١] ،
ولا تقبلوا أن يقترب لئيم .
من العرش الإمبراطورى القائم على الفضيلة
والعدل والعفة والنبل .
دعوا الجدير بالأمر يظفر فى انتخاب حر
ودافعوا أيها الرومان عن حريتكم فى الاختيار .

(يظهر ماركوس أندرونيكوس فى أعلى المنظر وهو يحمل تاجاً)

ماركوس : أيها الأميران المتصارعان بالشيع والأنصار ،
طامحين فى الحكم والسلطان ،
ألا فاعلما أن أهل روما ، الذين نمثلهم
بوقوفنا هنا ، قد أجمعوا
— فى انتخابهم الإمبراطور الرومانى —
على اختيار أندرونيكوس المعروف باسم بيوس ،
من أجل الكثير من الأعمال المجيدة الجليلة التى
أداها لروما .
فليس هناك رجل أنبل ، ولا محارب أشجع ،
يعيش اليوم داخل أسوار المدينة .

---

(١) الكابيتول : معبد أقيم بروما للإله جوبتر ، ملحق به قلعة تقوم على التل المسمى باسمه وهو تل من تلال روما السبعة . وكان الأباطرة والقواد الظافرون يتوجون بهذه القلعة.

إن الشيوخ قد استدعوه إلى أرض الوطن
من حروب مضنية ضد القوط البرابرة ،
كان فيها الفزع لأعدائنا ، واستطاع مع أبنائه
أن يخضع لنير روما أمةً قوية شبت على حمل
السلاح ، وبلغها .
لقد مضى عليه عشر سنوات ، منذ تولى
الدفاع عن روما ، فأذلّ بالسلاح
كبرياء أعدائنا ، وعاد خلالها خمس مرات ،
يقطر دماً ، وهو يحمل أبناءه الصناديد
فى التوابيت ، من الميدان :
وأخيراً وقد أثقلته أسلاب الفخار
وقدم القرابين لذكرى آل أندرونيكوس
دلالة على أخذه بثأرهم .
وبعد أن قتل أنبل سجين من سجناء القوط ،
يعود اليوم أندرونيكوس المجيد إلى روما ؛
مبرزاً فى المعارك والحروب ، قد ذاع صيت اسمه

تيتوس ؛
فدعانا نستحلفكما بشرف اسم ذلك الرجل
الذى تريدان اليوم أن يورث عن جدارة ،

وبحق الكابيتول ، ومجلس الشيوخ ،
اللذين تزعمان تقديسهما وتوقيرهما ،
أن تنسحبا ، أيها المتنافسان ، وأن تضعا السلاح .
فرقا أتباعكما ، وتصرفا بما يليق بأمثالكما من المتنافسين ؛
وعددا مناقبكما فى تواضع وسلام .

ساترنينوس : ما أحسن كلامك أيها الزعيم ، فإنه ليطمئن أفكارى

باسيانوس : وهاأنذا يا ماركوس أندرونيكوس ، أعلن ثقتى باستقامتك واتزانك ،
كما أعلن أننى أحبك وأقدرك ، أنت وآلك :
أخاك النبيل تيتوس ، وأولاده ،
وتلك التى طوع بنانها كل أفكارى ،
لافينيا الجميلة ، درة روما الثمينة ،
ومن أجل هذا سأصرف الآن أتباعى المحبين ،
وأترك للأقدار ولتقدير الشعب
أمر الحكم فى قضيتى وقد وضعت فى الميزان .

(يخرج أتباع باسيانوس)

ساترنينوس : أيها الأصدقاء الذين تحمسوا هكذا لحقى ،
إننى أشكركم جميعاً ، وأرجوكم أن تنصرفوا ،

وسأسلم لرحمة بلادى ولحبها نفسى ، وروحى
وقضيتى .
روما ، ارضى عنى وأنصفينى
(يخرج أتباع ساترنينوس)
بقدر ما أنا عطوف عليك مخلص لك ،
افتحوا الأبواب ودعونى أدخل

باسيانوس : وأنا كذلك ، أيها الزعماء ، منافس[1] متواضع .

(يخرجون ، صاعدين إلى مجلس الشيوخ . ويدخل ضابط)

الضابط : أيها الرومان ، أفسحوا الطريق ، أن أندرونيكوس
حامى حمى الفضيلة ، وخير من انتصر لروما ،
القائد المظفر فى المعارك التى خاضها
قد عاد بالمجد والثراء بعد أن أذل بسيفه
أعداء روما وجرهم يرسفون فى القيود

(قرع طبول ، ثم يدخل مارتيوس وموتيوس وخلفهما رجلان يحملان نعشاً مجللا بالسواد ومن ورائهما لوكيوس وكوينتوس وبعدهما تيتوس أندرونيكوس ثم تاموار ملكة القوط ، وأبناؤها ألاربوس وشيرون وديمتريوس ، وبعدهم هارون وآخرون من القوط الأسرى وبعد ذلك جماعة من الجند وجمهور من الناس . يضعون النعش على الأرض ثم يتكلم تيتوس)

---

(١) قد يعنى بذلك إما أنه تنقصه الثروة والنفوذ اللذين لأخيه ، وأما أنه يتهكم متواضعاً لكسب عطف الزعماء .

تيتوس : سلام عليك يا روما المنتصرة فى ثيابك السود
انظرى ، إن مثل السفينة التى أفرغت حمولتها
ثم عادت بحمولة أثمن إلى المرفأ الذى أقلعت منه
أول مرة ،
كمثل أندرونيكوس ، وقد عاد ملتفًا بأكاليل الغار ،
ليحيى مرة أخرى ، وطنه بالدموع :
دموع الفرح الصادق بعودته إلى روما .
وأنت يا « چوبتر » ، يا حامى الكابيتول العظيم ،
تلق ما ننوى القيام به من شعائر ، بالقبول .
وأنتم أيها الرومان ، لقد كان لى من الأبناء خمسة
وعشرون ابنا جسوراً ،
هم نصف ما كان للملك بريام [1] من بنين
فانظروا الآن فى البقية الباقية ، من الأحياء والأموات ،
فلتجز روما أحياءهم بالحب .
أما الذين أحملهم اليوم إلى مثواهم الأخير
فلتجزهم روما بشرف الدفن بين أسلافهم الأمجاد .
إن القوط قد أعطوك مهلة تضع فيها سيفك فى
غمده

(١) الملك بريام ملك « طروادة » .

فما بالك يا تيتوس ياقاسى القلب يا مقصراً فى حقوق
ذويك !
تحتمل أن يظل أبناؤك بلا دفن ، حتى الآن ،
فى حين تحوم أرواحهم على شاطئ «ستكس» [١]
المخيف ،
هيا افسحوا لهم مكاناً ليرقدوا إلى جوار إخوتهم ،
(تفتح المقبرة)
عندئذ لنحييهم فى صمت يليق بالموتى ،
سلام عليكم فى رقدتكم ، يا من قتلتم فى سبيل
بلادكم
وأنت أيتها الحفرة المقدسة التى دفنت كل أفراحى
ويا أيها الخدر خدر الفضيلة والنبل
كم قد استودعتك من أبنائى ؛
أبنائى الذين لن تردهم إلىّ مرة أخرى .
لوكيوس : اختر أشد أسرى القوط كبرياء وأسلمه لنا .
حتى نقطع أطرافه ونجعلها كومة عالية
ونحرق لحمه قرباناً لأرواح إخوانهم .
أما هذا السجن الأرضى الذى تموت فيه عظامهم .

---

(١) ستكس : نهر فى الجحيم ، يعبره الخاطئ سبع مرات .

فى ذلك سكينة لأرواح الموتى ،
وضمان لنا نحن الأحياء على الأرض . ألا تنذرنا الخوارق بالشر .

تيتوس : ها كم إذن ، أنبل من بقى منهم على قيد الحياة
وأكبر أبناء الملكة المقهورة .

تامورا : تمهلوا أيها الإخوة الرومان ، وأنت أيها الغازى الكريم ،
تيتوس المنصور ، فلتأخذك الشفقة بما أسكبه من دموع ؛
إنها دموع الأم المحزونة على ولدها .
فإذا كنت أحسست يوماً أن أولادك أعزاء عليك ،
فاذكر أن ابنى مثلهم ، عزيز علىّ هو أيضاً .
ألا يكفيك فخراً أننا قد جىء بنا إلى روما ،
لنزين موكب انتصارك ونزيد فى بهجة عودتك ،
أسرى لك ، أذلاء نرسف فى القيود الرومانية ،
أو لا بد لك أيضاً أن تذبح أبنائى فى شوارع روما
جزاء وفاقاً على ما قدموه لوطنهم من مجيد الفعال ؟
فلئن كان القتال من أجل السلطان والدولة

يعد من أبنائك تديناً وعبادة ، فهو من هؤلاء كذلك أيضاً .

أندرونيكوس ـ لا تلوث قبر أسرتك الطاهر بالدماء !
ألا تريد أن تتشبه فى خلقك بخلق الآلهة ؟
تشبه إذن بهم وكن رحيماً ،
فإن الرحمة الرحيمة لأصدق رمز يدل على النبل ،
أيها النبيل تيتوس بل العريق فى النبل ! أعف عن ابنى البكر !

تيتوس : صبراً سيدتى ، وصفحاً ،
إن هؤلاء الواقفين أمامك إخوة من شهدتموهم ، أنتم القوط ،
أحياء ثم أمواتا ، وهم من أجل إخوتهم
الذين استشهدوا فى الجهاد المقدس يطالبون بالفداء كما يأمرهم الدين
وقد اختير ابنك لهذا ، فلا بد له أن يموت ،
كيما يسكن بموته صياح هامات الراحلين من موتاهم .

لوكيوس : امضوا به وأوقدوا النار فوراً ،
فلنمتشق سيوفنا ، ونقطع بها أطرافه

فوق كومة الخشب ونحرقها حتى تتلاشى كلها .

(يخرج لوكيوس وكونتيوس ومارتيوس يقتادون ألاربوس)

تامورا : يا لقسوة هذه العبادة الكافرة !

شيرون : أو بلغ أهل « سكوذيا[1] » من الوحشية نصف ما بلغ هؤلاء ؟

ديمتريوس : لا تقارن أهل سكوذيا بأهل روما الجشعة .
أن « ألاربوس » قدمات فاستراح ؛ أما نحن فسنحيا ،
لنرتجف ، أمام نظرة تيتوس المتوعدة .
وإذن قفى ، يا سيدتى ، بالرغم من هذا : ثابتة ، مؤملة
فإن الآلهة ، التى أتاحت قديماً لملكة طروادة[2] ،
فرصة سانحة لتنتقم انتقاماً قاسياً
من طاغية « تراقيا » وهو فى خيمته :
قد تمكن هى نفسها « تامورا » ، ملكة القوط ،
(عندما كان القوط قوطاً وكانت تامورا ملكة)

---

(١) إقليم فى شرق أوربا كان يسكنه شعب من البرابرة المتوحشين يتجولون فى جنوبها الشرقى وشمالى غرب آسيا . وقد زعم هيرودوت أنهم كانوا يأكلون لحوم البشر .

(٢) ملكة طروادة : هكيوبا زوجة بريام ملك طروادة، وطاغية تراقية هو « بوليمنيستر » Polymnestor .

من أن تنتقم من أعدائها لهذه الاعتداءات الدامية .

(يدخل لوكيوس وكوينتوس وموتيوس وسيوفهم تقطر دماً)

لوكيوس : انظر ، أبانا ، ومولانا ، كيف قمنا بأداء
شعائرنا الرومانية ؛ لقد قطعت أطراف ألاربوس
وبتر بتراً ؛
وغدت أحشاؤه وقودا لنار القرابين ؛
تعطر السماء دخانها وكأنه بخور العابدين .
لم يعد أمامنا الآن إلا أن ندفن إخوتنا ،
وأن نعلن عودتهم إلى روما بدويّ الطبول .

تيتوس : فليكن ذلك ، وليكن لأندرونيكوس ،
من هذا ، تحية أخيرة لأرواحهم .

(تدق الطبول و يوضع النعش فى القبر)

ارقدوا هنا يا أبنائى ، فى سلام وفى فخار ،
يا حماة روما الأمجاد ! ارقدوا هادئين ،
آمنين عوادى الدهر وأحداثه ،
ارقدوا حيث لا تكمن خيانة ولا يسود حسد ،
ارقدوا حيث لا ينمو عشب سام ملعون ، ولا تعصف
رياح هوج
حيث لا صخب ولا ضوضاء ، بل صمت خالد

وسبات أزلى

استريحوا هنا يا أبنائى فى سلام وفى فخار !

(تدخل لافينيا)

لافينيا : طال عمر المولى تيتوس فى عز وسلام
عشت فى مجد مولاى النبيل ووالدى العزيز !
انظر ، هذه دموعى على هذا القبر ،
أقدمها فرضاً علىّ لإخوتى فى مراسم دفنهم ،
وها أنا ذى أركع عند قدميك ودموع الفرح
بعودتك إلى روما تنسكب على الأرض .
باركنى يا أبتِ هنا بيمينك الظافرة ،
التى هلل لانتصارها خير أبناء روما .

تيتوس : ما أعظم رحمتك يا روما ، فقد حفظت لى ، عطفاً
منك ، سلوى حياتى ، ليفرح بها قلبى .
عشت يا لافينيا ، عشت حتى يجاوز عمرك عمر أبيك ،
وحتى يجاوز ذكر فضيلتك عمر الخلود الأبدى

(يدخل ماركوس أندرونيكوس و يرجع ساترنينوس و باسيانوس والآخرون)

ماركوس : عاش تيتوس ، مولاى وأخى الحبيب ،
الكريم المظفر ، لدى أهل روما !

تيتوس : شكراً ماركوس . أيها الزعيم الكريم والأخ النبيل .
ماركوس : مرحباً بعودتكم من الحروب الموفقة يا أبناء الأخ ،
مرحباً بكم أيها الأبناء ، الأحياء منكم والراقدون فى
أحضان المجد على السواء . أيها السادة :
إن نصيبكم جميعاً قد تشابه فى كل شىء
عندما شرعتم سيوفكم فى سبيل الوطن ،
ولكن نصر هذا الموكب الجنائزى خير وأبقى ،
لأنه ارتقى بصاحبه إلى سعادة الموت التى نادى بها
صولون[1] ،
واعتلى به مراقى المجد منتصراً على الأقدار .
تيتوس أندرونيكوس ! إن أهل روما ،
الذين ناصرتهم أبداً فى الحق ،
يرسلون إليك معى — وأنا زعيمهم الذى يثقون به —
هذا المعطف الأبيض الذى لا تشوب صفاءه
شائبة ،
ويرشحونك فى انتخاب الإمبراطورية

(١) سعادة صولون : إشارة إلى مثل ينسب لصولون يقول فيه : لا تحسب الرجل سعيداً حتى يموت ، ويرى « بيلدون » أن الإشارة قد تكون لمثل آخر هو : من أحبته الآلهة فقد مات صغيراً .

مع أبناء إمبراطورنا السابق الراحل ،
اقبل إذن الترشيح والبس الثوب وشارته ،
وأعنا على اختيار رئيس لروما ليكون لها رأساً بعد أن أضحت لا رأس لها .

تيتوس : إن رأساً أفضل من رأسي أليق بجسدها المجيد ،
رأساً لا يرتعش من الشيخوخة ولا الضعف
علام أرتدى هذا الرداء وأحملكم مشقة انتخابى
وأنتم إن خصصتمونى اليوم بالتتويج
فسأضطر غداً لأن أتنازل عن الحكم ، وأعتزل الحياة ،
وبذلك تعود المهمة أمامكم جميعاً ، لتقوموا بها من جديد ؟ !
روما ! لقد كنت المجاهد فى سبيلك أربعين عاماً ،
قدت فيها قوات بلادى مظفراً موفقا ،
ودفنت من الكماة واحداً وعشرين ابناً صنديداً
كانوا فرساناً ، فى الميدان ، ولقوا مصرعهم أبطالا شاهرى السلاح
فى سبيل وطنهم النبيل وذوداً عن حقوقه .
هبونى إذن فى شيخوختى ، عصا الشرف أتوكأ عليها ،

لا صولجاناً أسود به العالم .
وإنه لصولجان ، أيها السادة قد رفعه عالياً آخر من أمسك به

ماركوس : لو تقدمت ، يا تيتوس ، إلى الكرسى الإمبراطورى لحصلت عليه .

ساترنينوس : أو تجرؤ ! أيها الزعيم المتكبر المتطاول ؟

تيتوس : صبراً أيها الأمير ساترنينوس !

ساترنينوس : يا رجال روما ، قفوا إلى جانبى ،
أيها الأشراف ، اشرعوا سيوفكم ولا تغمدوها
حتى يصبح ساترنينوس إمبراطوراً لروما .
أما أنت يا أندرونيكوس ، فإنى كنت أفضل أن يُلقى بك فى الجحيم ،
من أن تسلبنى قلب الشعب .

لوكيوس : يا لكبرك يا ساترنينوس ، إنك لتؤخر الخير
الذى يريده لك تيتوس بضميره النبيل .

تيتوس : اطمئن أيها الأمير . سأرد إليك
قلب الشعب ، وسأصرفهم عن أنفسهم .

باسيانوس : لست أتملقك يا أندرونيكوس ،
ولكننى أبجلك تبجيلا خالصاً ، وسأظل كذلك

حتى أموت ،
ولسوف أكون شاكراً لك ، كل الشكر ، لو أنك
مع أصدقائك أبدت شيعتى ؛
إن الشكر لكرام النفوس لجزاء كريم .

تيتوس : يا رجال روما يا أيها الزعماء النبلاء ،
إنى أسألكم أصواتكم وموافقتكم
فهلا منحتموها متكرمين لأندرونيكوس ؟

الزعماء : إن الشعب ، إرضاءً لأندرونيكوس الشهم ،
واحتفالا بعودته سالماً إلى روما ،
سوف يقبل من يرتضيه .

تيتوس : أشكركم أيها الزعماء ، وهأنذا أعرض عليكم
أن تنصبوا مولانا ساترنينوس ،
الابن الأكبر لإمبراطورنا ، وآمل أن تشع فضائله
على روما ،
كما تشع أشعة إله الشمس[1] على الأرض ،
وأن يرعى العدالة حتى تزدهر فى دولتنا ،
فإذا أردتم أن تأخذوا بنصيحتى فى انتخابكم ،
فلتتوجوه هو ، ولنهتف : أدام الله إمبراطورنا !

---

(١) فى الأصل (Titan) وتيتان إله الشمس .

مارکوس : هلم بالتهليل وبالترحيب بشتى صوره
يا أيها النبلاء ، ويا عامة الشعب ، فلنتوج
مولانا ساترنينوس إمبراطور روما العظيم ،
ولنهتف : أدام الله إمبراطورنا ساترنينوس

(هتاف وتهليل)

ساترنينوس : تيتوس أندرونيكوس إنى على ما قدمت إلينا من أفضال
فى يوم انتخابنا هذا
أقدم إليك شكراً يليق بفعالك .
وسأكافئك على تكرمك بالفعل لا بالقول ،
وها أنذا أبدأ الآن ، يا تيتوس ،
بأن أرفع من اسمك ومن اسم أسرتك النبيلة ،
فأجعل من لافينيا ، مليكتى ،
لتجلس حاكمة على عرش روما الإمبراطورى ،
وحاكمة على قلبى
وأصبح فى البانثيون[1] المقدس ، زوجاً لها .
قل لى يا أندرونيكوس ، أو يرضيك ما أتقدم به إليك .

---

(١) البانثيون : معبد مكرس يقع وسط حقول مارس فى روما .

تيتوس : نعم ، يا مولاى الجليل ، فإن هذا القران
ليشرفنى كثيراً تفضلك به .
وها أنا ذا أمام شعب روما ، أكرس لساترنينوس ،
ملك دولتنا وقائدها ،
وإمبراطور العالم الواسع ،
سيفى ومركبتى وأسراى ،
وأهديها كلها لأجدر الناس بها ، سيد روما
الإمبراطورى ،
تقبلها إذن ، فإنها ضريبة ، أنا مدين بها لك ،
إنها شارات مجدى ، أضعها متواضعة عند قدميك .

ساترنينوس : شكراً يا تيتوس النبيل ، يا من أوجدتنى من جديد ،
فلتسجل روما فخرى بك وبهداياك ،
فإذا نسيت أقل هذه الأفضال شأناً ،
فانسوا أيها الرومان عهودكم بالإخلاص لى .

ـ تيتوس (لتامورا) : إنك الآن يا سيدتى أسيرة إمبراطور ،
وبقدر ما لك من سمو الشرف ومن علو المقام
سيكرم الإمبراطور معاملتك ومعاملة أتباعك .

ساترنينوس (على حدة) : إنها ولا شك امرأة مليحة ، من هذا الصنف

الذى كنت أختاره لو أننى خيرت من جديد .
(بصوت عال) بددى السحب يا مليكتى الجميلة
عن قسمات وجهك ،
فلئن كانت صروف الحرب قد جلبت هذا التغيير
إلى محياك ،
فإنك لم تقدمى لكى يسخر منك أحد فى روما .
ستعاملين معاملة الملوك فى كل شىء .
فاعتمدى على كلمتى ولا تدعى السخط
يفسد عليك الأمل ، إن الذى يعزيك الآن يا سيدتى
قادر أن يجعلك أعظم من ملكة القوط .
لافينيا ، أو يسوؤك هذا الكلام ؟

لافينيا : أنا يا مولاى ؟ كلا ! لأن نبلك الخالص
يفرض عليك هذا القول ، وإنه لمجرد تلطف ملكى .

ساترنينوس : شكراً على لطفك يا لافينيا ، هيا أيها الرومان ،
إننا سنطلق سراح أسرانا بلا فدية ؛
فهيا أعلنوا ، أيها السادة ، ما نلناه من شرف بقرع
الدفوف والطبول .

باسيانوس : تيتوس ، سيدى ، عن إذنك ! هذه الفتاة لى !
(يمسك بلافينيا)

تيتوس : كيف ؟ ! أو جاد أنت يا سيدى ؟

باسيانوس : نعم أيها النبيل تيتوس ، بل مصمم
على أن أنتصف لنفسى بهذا الحق وأن أستبقيه

ماركوس : إن عدالتنا الرومانية تقضى بأن يكون لكل ذى حق حقه[١] ،
ولم يفعل الأمير أكثر من أن طالب فى عدل بحقه .

لوكيوس : لسوف يأخذه ، وسأضمنه أنا له ما دمت حيا .

تيتوس : ابتعدوا أيها الخونة ، أين حرس الإمبراطور .
إنها لخيانة يا سيدى ، لقد اختطفت لافينيا !

ساترنينوس : اختطفت ؟ ! من اختطفها ؟

باسيانوس : إنه صاحب الحق الشرعى
فى أن يحمل خطيبته بعيداً عن العالم أجمع !

(يخرج ماركيوس و باسيانوس بلافينيا)

موتيوس : هلم نتعاون أيها الإخوة على الهرب بها بعيداً .
إنى سأحرس هذا الباب بسيفى .

(يخرج لوكيوس وكوينتوس ومارتيوس)

تيتوس : اتبعنى يا مولاى ، وأنا أرجع بها سريعاً

موتيوس : سيدى ، لن تعبر من هنا !

---

(١) Suum Cuique لكل ذى حق حقه أو ماله .

تيتوس : ماذا ؟ أيها الغلام الشرير !
أوَ تَسُد فى روما ، طريقى ؟ (يطعن موتيوس)

موتيوس : النجدة ، يا لوكيوس ، النجدة (يموت)

لوكيوس : إنك لظلوم يا سيدى بل إنك لأكثر من ذلك ،
فلقد قتلت ابنك فى خلاف أنت فيه على باطل .

تيتوس : ما أنت يا بنى ولا هو .
فما كان لأبنائى أن يثلموا شرفى هكذا ،
أعيدوا لافينيا للإمبراطور أيها الخونة .

لوكيوس : نعيدها ميتة إن أردت ، ولن نعيدها حية لتكون زوجة ،
ما دامت الخطيبة الشرعية لرجل آخر . (يخرج)

ساترنينوس : كفى ، يا تيتوس ، كفى ، فما بالإمبراطور حاجة إليها
لا هى ، ولا أنت ، ولا أى ممن لاذَ بك .
فلقد أثق ، إن سمحت لى ، بمن يسخر منى مرة ،
ولكنى لن أثق بك أبداً ولا بأولادك المتعجرفين ،
بعد أن تآمرتم هكذا جميعاً على العبث بشرفى .
أو لم يكن فى كل روما من تجعلونه هزأتكم
غير ساترنين ؟ ما أشبه هذه الفعال يا أندرونيكوس ،

بجعجعتك الفارغة ، وادعائك الباطل ،
إننى قد استجديت الإمبراطورية من بين يديك .

تيتوس : يا للفظاعة ! ما أقسى هذا الكلام واللوم .

ساترنينوس : هيا امض فى سبيلك وأعط فتاتك هذه المتداولة بين الخطاب ،
لمن شهر سيفه من أجلها .
إنه لصهر شهم فهنيئاً لك به .
وإنه لجدير أن يخالط أبناءك العصاة ،
ليعيثوا فساداً فى أنحاء إمبراطورية روما .

تيتوس : إن هذه الكلمات كحد السيف على قلبى الجريح .

ساترنينوس : وإذن يا تامورا الجميلة ، يا ملكة القوط ،
يا من طغى نورك على نور أجمل نساء روما ،
فكنت مثل « فيبى » (١) الجليلة بين حاشيتها من الحور ،
لو أن اختيارى المفاجئ هذا يسرك ،
فها أنا ذا أختارك يا تامورا عروساً لى .
وسأنصبك إمبراطورة على روما ،

(١) Phoebe : ديانا ، ابنة جوبتر ، إلهة الصيد كما ورد فى شعر فرجيل الكتاب الأول البيت ٤٩٨ .

أفصحى ، ملكة القوط ، أو ترحبين باختيارى ؟
وإنى لأقسم بآلهة الرومان جميعاً ،
أنه ما دام الكاهن والماء المقدس قريبين[١] ،
وما دامت شموع الفرح مشتعلة وهاجة ، وكل شىء
معد مهيأ للقيام بشعائر آلهة الزواج[٢] ،
فلن ألقى السلاح على شوارع روما ،
ولن أصعد قصرى ، حتى أصحب من هذا المكان ،
عروسى معى . وقد أصبحت زوجاً لى .

تامورا : وها أنا ذا أقسم لروما على مشهد من السماء ،
أن ملكة القوط ، إذا قلدها ساترنين هذا الشرف ،
فلسوف تصبح له خادمة خاضعة لكل رغباته .
وراعية محبة رؤوماً لشبابه .

ساترنينوس : اصعدى أيتها الملكة الجميلة إلى البانثيون ، واصحبوا أيها السادة ،
إمبراطوركم النبيل وعروسه الفاتنة ،
التى أرسلتها السماوات للأمين ساترنين ،
فأصلحت بقبولها الحكيم ما جره عليها القدر .

---

(١) الخلط التاريخى واضح هنا فهذه شعائر مسيحية .

(٢) Hymenoeus : إله الزواج .

ولسوف نكمل هناك مراسيم القران .

(يخرجون جميعاً ماعدا تيتوس)

تيتوس : ها أنا ذا لم أدع إلى أن أصاحب هذه العروس ،
فمنذ متى يا تيتوس ، تسير وحيداً
هكذا مهيناً متهماً بكل شر ،

(يدخل ماركوس ، ولوكيوس ، ومارتيوس)

ماركوس : آه يا تيتوس ، انظر ، انظر ماذا فعلت !
لقد قتلت ابناً لك صالحاً فى خلاف طالح .

تيتوس : كلا أيها الزعيم الأحمق ، كلا ، إنه ليس بولدى ،
ولا أنت ، ولا كل هؤلاء المتآمرين على هذه الفعلة ،
التى دنست شرف أسرتنا جميعاً .
إنك لأخ خسيس ، وإنهم لأبناء أخساء .

لوكيوس : ولكن ، ائذن لنا أن ندفنه كما يليق به ؛
امنح « موتيوس » الحق فى أن يدفن مع إخوتنا .

تيتوس : ابتعدوا أيها الخونة ، إنه لن يرقد فى هذا القبر .
لقد ظل هذا القبر شاهداً قائماً خمسمائة عام ؛
وجددت بناءه ، رائعاً مهيباً ،
ولن يرقد فيه ممجداً إلا من كان جندياً أو خادماً
لروما ،

لا من يقتل مهيناً فى شجار حقير .
ادفنوه حيثما استطعتم ، فليس له مكان هنا .

ماركوس : مولاى ، هذا منك جحود وكفر .
إن فعال ابن أخى موتيوس لتشفع له .
ولا بد أن يدفن مع إخوته .

كوينتوس ومارتيوس : سيدفن أو نلحق به !

تيتوس : سيدفن ! من الوغد الذى قال هذا ؟ !

كوينتوس : قالها ، من لو لم يكن أمامك هنا لنفذ كلمته .

تيتوس : ماذا ؟ أو تدفنه رغم أنفى ؟

ماركوس : لا ، يا تيتوس ، أيها النبيل ، ولكنى أضرع إليك
أن تغفر لموتيوس وأن تسمح بدفنه هنا .

تيتوس : حتى أنت يا ماركوس ، صوبت نحو رأسى سهامك ،
وجرحت شرفى مع أولئك الصبية ؛
إنى لأعلن أن كلا منكم عدو لى ،
فلا تثيرونى أكثر مما فعلتم ؛ وانصرفوا عنى

مارتيوس : إنه غائب عن نفسه ، فهيا ننسحب .

كوينتوس : كلا ، لن أنصرف حتى ندفن رفات موتيوس .

(يركع ماركوس وأولاد تيتوس أمامه)

ماركوس : أخى ، بهذا الاسم تضرع إليك الطبيعة . .
كوينتوس : أبى ، والطبيعة تناديك بهذا الاسم ،
تيتوس : لا تتكلموا بأكثر من هذا ، إن أردتم السلامة جميعاً .
ماركوس : تيتوس ، أيها المجيد ، يا نصف روحى ، بل تزيد . .
لوكيوس : أبى ، يا روحنا ، وحياتنا جميعاً . .
ماركوس : اسمح لماركوس ، أخيك ، أن يدفن
هنا ، فى حمى الفضيلة ، ابن أخيه النبيل ،
هذا الذى مات شريفاً ، مدافعاً عن حق لافينيا ؛
إنك رومانى ، فلا تك بربرياً ،
إن الإغريق ، عندما نُصحوا ، دفنوا آجاكس[1] بما يليق به ،
مع أنه ذبح نفسه ؛ وكان ابن لايرتيس[2] الحكيم

---

(١) آجاكس : بطل من أبطال الإغريق فى حرب طروادة . اختلف مع يولسيس حول أسلحة أخيل فلما فاز هذا عليه بها جن من الحزن وراح يضرب قطعان الإغريق على أنها أعداؤه ولما تبين خطأه انتحر .

(٢) ابن لايرتيس : يولسيس : ملك « إيثاكا » وأبو تليماك وزوج بنلوب ، من أهم شخصيات حرب طروادة ، اشتهر فيها بحكمته ودهائه ، وضل بعد الحرب طريقه فى البحر وظل عشر سنوات يخوض مغامرات كثيرة . إلى أن وصل أخيراً إلى وطنه فقتل المعجبين المتجمعين حول زوجه بنلوب وعاد ملكاً من جديد . والحادثة المشار إليها فى البيتين هى موضوع مسرحية « آجاكس » لسوفوكليس .

هو الذى تشفع له مشكوراً كى تؤدى إليه طقوس الدفن
كما يجب .
فلا تدع موتيوس الصغير . وقد كان قرة عينيك ،
يحرم النزول إلى مثواه .

تيتوس : قم ، يا ماركوس ، قم !
إن هذا لأشأم يوم شهدته ،
يوم يثلم فيه أبنائى شرفى وفى روما نفسها ،
هيا ادفنه ، وادفنى من بعده

(يوضع موتيوس فى القبر)

لوكيوس : يا موتيوس الرقيق ، فلترقد عظامك هنا مع صحبك
حتى نزين قبرك بأكاليل النصر .

الجميع (راكعين) : لا يذرف الدمع أحد على موتيوس النبيل
وسيخلد فى المجد ، من مات فى سبيل الفضيلة ،

ماركوس : مولاى ، سأتجنب الكلام فى تلكم الأشجان الحزينة ،
قل لى ، كيف أمكن للملكة القوط الماكرة ،
أن يرتفع شأنها فى روما هكذا فجأة .

تيتوس : أنا لا أعرف كيف حدث هذا يا ماركس . ولكنى
أعلم أنه حدث .
ولا أعلم ، إلا عند السماء ، أهى دبرت هذا أم لا ،

ترى أترعى حق هذا الرجل ،
الذى قادها إلى هذه المكانة العليا
الرفيعة ؟ !
نعم لا بد أنها ستسخو له فى الجزاء .

(يدخل ساترنينوس وحرسه من جانب ومعهم تامورا وديمتريوس وشيرون وهارون
ثم يدخل باسيانوس ولافينيا وآخرون من الجانب الثانى)

ساترنينوس : أحرزت إذن قصب السبق يا باسيانوس .
فليمتعك الله يا سيد بعروسك الجميلة .

باسيانوس : وليمتعك بعروسك يا مولاى ، لن أزيد على ما قلته ،
ولن أتمنى لك أقل مما دعوت به لك . وإنى أستأذنك
فى الانصراف .

ساترنينوس : أيها الخائن ! ما دام فى روما قانون ، وما دامت فى
يدنا قوة ،
فستندم أنت وشيعتك على ما اغتصبت .

باسيانوس : أتسمى هذا اغتصاباً يا مولاى ، أن آخذ ما أملك ؟
أن آخذ من كانت خطيبتى الشرعية ومن هى الآن
زوجى !
وعلى كل ، فلندع قوانين روما تحكم فى كل هذا !
وإلى أن يحين ذلك ، فإنى قد أخذت ما هو لى .

ساترنينوس : يا سيدى ، إن قحتك معنا قد جاوزت الحد ؛
وسوف نكون — إن عشنا — أكثر حدة معك .
باسيانوس : مولاى سأدافع قدر استطاعتى عما فعلت ،
وسأستميت فى الدفاع ولو كلفنى حياتى .
ولكنى أريد بجلالتكم أن تعرفوا شيئاً واحداً ؛
إنى لأقسم ، بكل حقوق روما على ،
أن هذا السيد النبيل ، تيتوس ،
قد أسىء فهم فعاله ، ومس شرفه .
فقد حاول استنقاذ لافينيا ،
وقتل فى هذا أصغر أبنائه بيده .
كل هذا من تحمسه لك ، ومن شدة احتدام الغضب فى نفسه
لما منعوه أن يعطيك ما وهبك إياه خالصاً .
أنزله إذن منزلة الرضى يا ساترنين ،
فقد أثبت فى فعاله كلها ،
أنه أب ، وصديق لروما ولك .
تيتوس : دعنى أيها الأمير باسيانوس ، بل دع فعالى تتكلم عنى ،

لقد كنت أنت وهؤلاء أنتم الذين أزريتم بى ؛
إنى لأترك لروما . ولعدالة السماء أن تحكم وتقدر ،
كم ذا أحببت ساترنين وكم ذا بجلته .

تامورا : مولاى العظيم ، إذا كانت تامورا يوماً ما
قد حظيت منكم بالرضى
فاسمح لى أن أطلب لهم العفو جميعاً دون تحيز لك
أو لهم ؛
واقبل أيها الحبيب ضراعتى لأن تصفح عما مضى .

ساترنينوس : ما هذا يا سيدى ! أو أهان علنا ،
ثم أحلّ الموقف فى نذالة دون انتقام .

تامورا : حاشا يا مولاى ، إن آلهة روما لتأبى ،
أن أكون سبباً فى المساس بشرفك .
غير أننى أجرؤ فأقسم بشرفى ،
أن السيد ، تيتوس النبيل ، برىء كل البراءة ؛
وأن ثورته التى لم يستطع أن يداريها ، إنما تنم عن
صدق أحزانه .
فاقبل إذن ضراعتى . وانظر إليه بعين العطف ؛
ولا تفقد مثل هذا الصديق النبيل لمجرد ظن فارغ .
ولا تحزن قلبه الحنون بنظراتك الغاضبة .

(على حدة لساترنينوس) مولاى ، أطعنى ودعنى
أقنعك أخيراً ، ودار غضبك وغيظك :
إنك مازلت حديث عهد بعرشك ،
وأخاف إنْ استعرض الشعب والزعماء
الأمر فى عدل أن يقفوا فى صف تيتوس ،
وأن يسقطوك عن عرشك بتّهمة الجحود ،
وإن القوم فى روما يرون الجحود إثماً شنيعاً .
استجب إذن لضراعتى ، واترك أمرهم إلىّ ،
فسأجد اليوم المناسب الذى أذبحهم فيه كلهم
ذبحاً .
وأستأصل شأفتهم وشأفة شيعتهم وأسرتهم ؛
هذا الأب القاسى وأبناؤه الخونة ،
الذين ضرعت إليهم للإبقاء على حياة ابنى الغالى ؛
سأعرفهم ما جزاء من يترك ملكةً
تركع فى الشارع ، لتستجدى العفو عبثاً .
(بصوت عال) : هلم ، أيها الإمبراطور العزيز ، وتعال يا أندرونيكوس
قرب إليك الشيخ النبيل وأد الفرحة على قلب
كاد يموت متأثراً بعواصف غضبك .
ساترنينوس : قم يا تيتوس ، قم ، قد انتصرت مليكتى .

تيتوس : أنا أشكر لجلالتكم وجلالتها ،
تلكم الكلمات والنظرات التى يبث الحياة فىّ من جديد ،

تامورا : أنا الآن يا تيتوس ، قد ارتبطت بروما ،
ومن حسن طالعى أن أصبحت رومانية ؛
فلا بد لى إذن من أن أنصح الإمبراطور بما فيه خيره ؛
فلنقض اليوم على الخلافات جميعاً يا أندرونيكوس ؛
ويا مولاى العزيز ، هبنى شرف
التوفيق بينك وبين صحبك .
أيها الأمير باسيانوس ، قد ضمنت نيابة عنك ،
للإمبراطور بشرفى وبوعدى ،
أنك ستكون ألين طبعاً وأسلس قياداً .
أما أنتم أيها السادة ، وأنت يا لافينيا ، فلا تخشوا شيئاً ،
نفذوا أمرى ، واركعوا خاضعين ،
لطلب العفو من جلالته .

لوكيوس : إننا لنفعل ، ونقسم للسموات ، ولجلالته ،
إن ما فعلناه ، كان أرفق ما نستطيع أن نفعل ؛

ذوداً عن شرفنا وشرف أختنا .

ماركوس : وأنا أيضاً أقسم بشرفى على هذا .

ساترنينوس : إليك عنا ولا تتكلم ، ولا تزعجنا أكثر من هذا .

تامورا : لا ، يا مولاى العزيز ، لا بد لنا جميعاً من أن نكون أصدقاء ؛
إن الزعيم وأولاد أخيه يركعون طالبين العفو :
وأنت لن ترفض طلبى ! التفت إليهم يا حبيبى العزيز .

ساترنينوس : إكراماً لك يا ماركس ؛ وإكراماً لأخيك هذا ،
ونزولا على رجاء عزيزتنا ، تامورا ،
أتغاضى عما اقترفه أولئك الشبان من جرائم نكراء .
انهضوا .
وإن كنت يا لافينيا ، قد تركتنى وكأننى من الدهماء ،
فإننى وجدت بدلا منك رفيقة أخرى ؛ وإنى لأقسم يميناً يقينها كيقين الموت
ألا أترك الكاهن وأنا أعزب .
هلم بنا ، وإذا كان فى وسع بلاط الإمبراطور أن يحتفى بعروسين
فلتكونى ضيفى ، يا لافينيا ، أنت وصحبك .

ولنجعل اليوم ، يا تامورا ، يوم الحب .

تيتوس : وفى الغد ، إن شئت جلالتكم ،
نخرج معاً لقنص الفهد والغزال ،
ونحيي جلالتكم تحية الصباح بالبوق ونباح الكلاب.

ساترنينوس : فليكن الأمر كذلك ، يا تيتوس ، وليكن الشكر عظيماً أيضاً .

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الأول

روما — أمام القصر

يدخل هارون وحده

هارون : الآن ترتقى تامورا قمة الأوليمب ،
فى مأمن من سهام القدر ، تتبوأ مكاناً رفيعاً
بمنجاة من قصف الرعود وومض البروق ،
سامية لا تتطاول لتهديدها قبضة حاسد ممرور .
كأنها الشمس الذهبية عندما تحيى الصباح ،
حتى إذا ما بسطت على المحيط شعاعها ولألاءها
أسرعت تعبر الأفلاك بمركبها الوهاج ،
مرتفعة فوق أعلى ذرى الجبال . تطل عليها بازدراء .
تلك هى الآن تامورا !
يقف الشرف الدنيوى فى خدمة حكمتها ويدين لها ،
وتركع لها الفضيلة خاضعة وترتعد من غضبتها .

هلم يا هارون إذن ، وسلح قلبك ، وهيئْ خواطرك ،
لكي ترقى عالياً مع عشيقتك الإمبراطورية ،
وتصعد إلى حيث تحلق تلك التي ظفرت بها طويلا ،
بأن جعلتْها أسيرتك ، مصفدة بقيود الغرام ،
قد أوثقت إلى نظرة هارون الآسرة ، بسلاسل
أشد مما أوثق به بروميثيوس[1] ، إلى صخرة القوقاز .

انزع يا هارون ثياب الرق واطرح أفكار العبيد .
فسأتوهج باللآلئ وأتألق بالذهب ،

كيما أقف على خدمة هذه التي جعلوها إمبراطورة
حديثاً .

ولكني ! هل قلت أقف على خدمتها ؟ لا بل أتمتع
بالملكة ،

بهذه الإلهة . بسميراميس[2] هذه الحورية ،

---

(١) بروميثيوس: إله النار (هو نصف إله) ابن الجبار «جابت» سرق النار للبشر من السماء فعاقبه «جوبتر» أي زيوس بأن جعل الإله فولكان يقيده إلى جبل القوقاز وسلط عليه نسراً ضخماً يأكل من كبده،وكلما فنيت الكبد جددها له حتى جاء هرقل فخلصه .

(٢) سميراميس – زوج نينوس وملكة آشور الأسطورية التي اشتهرت بجمالها وطموحها وميلها إلى الشهوات .

عروس الماء [١] التى ستسحر ساتورنين روما
حتى تشهد مصرعه وتمزيق دولته
عجباً ! ما هذه العاصفة ؟

(يدخل ديمتريوس وشيرون وهما يتشاجران)

ديمتريوس : شيرون ، إن شيخوختك ينقصها الفهم ، وفهمك ينقصه الحزم
والأدب ، حتى تقتحم على ما بلغت أنا من المكانة
فتصير محبوباً ، فيما تعلم .

شيرون : إنك كثير الادعاء دائماً يا ديمتريوس .
وها أنت ذا الآن تحاول أن تغلبنى بتبجحك .
إن فارق السن بسنة أو سنتين ، لا يجعلنى
أقل حظوة ولا يجعلك أوفر نصيباً .
إننى مثلك لا فرق بيننا ، إنى كفء ، قادر
على أن أخدم حبيبتى وأن أستحق رضاها .
وسأثبت هذا بسيفى وهو يعلو سيفك ،
مدافعاً عن حقى فى الميل نحو لافينيا ، وفى حبها .

هارون : شجار بالسلاح ! شجار بالسلاح ! هذان العاشقان

(١) الإشارة هنا إلى عرائس البحر التى تسحر البحارة بغنائها وتجذبهم إلى أعماقه لتتحطم مراكبهم على الصخور .

لا يهدآن .

ديمتريوس : ما هذا يا بنى . ألئن تسرعت أمنا ،
فعلقت إلى جانبك سيفاً تلبسه فى الرقص .
تهور ، وتهدد أصدقاءك .
إليك عنى ، ودع نصالك مستقرًّا فى غمده ،
حتى تتعلم كيف تحسن حمله .

شيرون : ومع ذلك يا سيدى فإنى بما أوتيت من مهارة ضئيلة
سأريك جيداً إلى أى مدى تصل جرأتى .

ديمتريوس : أو أصبحت شجاعاً إلى هذا الحد أيها الغلام ؟
(يستلان سيفيهما)

هارون : ماذا ؟ ما هذا أيها السيدان ؟
أوتجرؤان ، وأنتما بهذا القرب من قصر الإمبراطور ،
أن تتبارزا ،
وأن تثيرا علناً مثل هذا الشجار .
إننى لأعرف جيداً كل أسباب هذه الضغينة ؛
ولن أرضى ، وإن أعطيت مليوناً من الذهب ،
أن يعلم السبب من يخصهم الأمر ،
كما أننى لن أرضى ، ولا بأكثر من هذا ، أن أرى
أمكما النبيلة ،
وقد امتهن شرفها على هذا النحو فى بلاط روما .

اخجلا إذن ، وأغمدا سيفيكما ،

ديمتريوس : لن أفعل ، حتى أغمد
نصلى فى صدره ، بل حتى
أرد إلى حلقه هذه الكلمات اللاذعة
التى نطق بها ليهيننى هنا .

شيرون : وهاأناذا مستعد مصمم كل التصميم ؛
أيها الرعديد البذىء ، الذى يرعد بلسانه ،
ولا يجرؤ على إتيان شىء بسيفه .

هارون : قلت لكما أقصرا ؛
فبحق الآلهة التى يعبدها القوط المحاربون ،
إن هذا العراك النزق السخيف سيودى بنا جميعاً .
ثم ما هذا أيها السيدان ! ألا تدركان ما فى هذا
التعدى من خطر على حقوق أمير ؟
ما هذا ، أو قد بلغت لافينيا ، من الابتذال ،
وبلغ باسيانوس من الهوان
أن تثار علناً على حبها مثل هذه المعارك ،
دون مراعاة للحدود أو المبالاة بحق أو خوف من انتقام ؟
احذرا أيها السيدان الصغيران ، فلو عرفت الإمبراطورة

أسباب ما بينكما من تنافر . لما أطربتها الأصوات
التى تحدثانها .

شيرون : لا يهمنى أن تعلم ، أو أن تعلم الدنيا كلها ،
إننى أحب لافينيا ، أكثر من الدنيا بأسرها .

ديمتريوس : أيها الصغير العزيز رُض نفسك على أن يكون اختيارك أكثر تواضعاً ،
فإن لافينيا هى مطمح أخيك الأكبر .

هارون : عجباً . هل جننتما ، ألا تعلمان أن القوم فى روما
يستشيطون غضباً . ولا يستطيعون الصبر
أو احتمال التنافس فى الحب ؟
وإنى لأؤكد لكما أيها السيدان أنكما بهذا التصرف
إنما تدبران لأنفسكما الموت تدبيراً .

شيرون : هارون إن ألف ميتة
ترضينى . وأتقبلها ، إذا كنت أفوز بمن أحب !

هارون : تفوز بها ؟ كيف ؟

ديمتريوس : لماذا تجعل الأمر يبدو لك إلى هذا الحد غريباً ؟
إنها امرأة ، إذن فيمكن أن تستمال ،
وهى امرأة ، إذن فمن الممكن أن يظفر بها ،
ثم هى لافينيا ، فلا بد إذن أن تُحب .

ماذا يا رجل ! إن الساقية ليمر بها من الماء ،
ما لا يعلم به الواقف عليها ، ومن السهل
كما تعلم ، إذا ما انكسر الرغيف أن تسرق لقمة منه .
حقًّا إن باسيانوس أخو الإمبراطور ،
ولكن كم حمل شعار فولكان (١) المخدوع من هم خير منه .

هارون (على حدة) : حقًّا ، بل قد يحمله أمثال ساترنينوس نفسه .

ديمتريوس : لماذا ييأس إذن ، من يتقن فن استمالتها
بالكلمات ، ورقيق النظرات ، وسخى الهدايا .
ويحك ، أو لم يحدث لك مراراً أن أصبت ظبياً (٢)
ثم حملته خفيفاً ، دون أن يلمحك حارسه ؟

هارون : إذن ، فأنت ، فيما يبدو ، ترى أن استلابها أو شيئاً من هذا القبيل
كفيل أن ينيلك منها بغيتك ؟

---

(١) فولكان ، إله النار والمعادن لدى الرومان . وهو ابن « جوبتر » من جينون . تزوج من فينوس إلهة الجمال على الرغم من وجهه الدميم وجسمه المشوه . وشعار فولكان إشارة إلى كل زوج مخدوع .

(٢) يشير البيت إلى سرقة الأطفال للغزلان ، وكانت عادة شائعة عند الأطفال فى المنطقة التى نشأ بها شكسبير .

شيرون : نعم ، فهكذا أبلغ المرام .
ديمتريوس : أصبت يا هارون ، وأدركت الأمر
هارون : وددت لو أنكما أدركتماه أيضاً !
لنستريح من هذا العناء . .
أنصتا إلى ، أنصتا ! هل بلغت بكما الحماقة
أن تتشاجرا على هذا ؟ أيسوؤكما
أن تفوزا أنتما الاثنان ؟
شيرون : أنا والله ، لا يسوؤني
ديمتريوس : ولا أنا ما دمت من الفائزين .
هارون : اخجلا إذن ، وتصادقا واتفقا على ما قد فرق بينكما .
إن الدهاء والحيلة ، هما اللذان
يحققان ما تريدان ، ولا بد أن تقتنعا
بأن المرء إذا لم يستطع أن ينال بغيته كما يشتهى
فعليه أن ينال بالقوة ما يستطيع .
نعم ، خذا هذا عنى مؤكدا : أن « لوكرشيا »[١]
نفسها لم تفق فى العفة ،
لافينيا التى يحبها باسيانوس .

---

(١) لوكرشيا — قتلت نفساً بعد أن اعتدى عليها تاركوين . يضرب بها المثل فى العفة وإيثار الموت على العار .

ولكن ثمة طريق آخر أسرع من طريق هذا التودد البطيء الأمد .
وعلينا أن نتبعه ، لقد وجدت هذا الطريق :
فقريباً ، أيها السادة ، سيكون هناك موكب رسمى رائع للقنص ،
وهناك ، ستتجمع نساء روما الجميلات ،
والغابة طرقاتها واسعة فسيحة ،
وبها مواضع كثيرة غير مطروقة ،
كأنما أعدت إعداداً طبيعياً للاغتصاب وللإثم .
انفردا إذن هناك . بتلك الظبية الوديعة ،
وخذاها بالقوة . إن لم تجد معها الكلمات .
ولا تأملا فى نجاح بغير هذه الطريقة ، وإلا فاعدلا عدولا تاماً .
هيا ، هيا . فعلى إمبراطورتنا ذات الذكاء القدسى
التى سخرت مواهبها للشر والانتقام .
سنعرض أمر كل ما انتوينا القيام به .
إنها ستُحكم بمشورتها مؤامراتنا
فإنها لن ترضى لكما أن يضرب كل منكما صاحبه ،
وإنها ستبلغكما معاً أقصى ما تشتهيان .

وما أشبه بلاط الإمبراطور بمركز للإشاعات ،
فالقصر ملىء بالألسنة والأعين والآذان ،
أما الغابة فإنها قاسية . مخيفة ، صماء ، بلهاء ،
فتكلما هناك أيها الشجعان إذن ، واضربا ، وتعاقبا
عليها ،
نعم ، هناك أرضيا رغبتكما متواريين عن عين السماء ،
وتمتعا بما لدى لافينيا من كنوز الجمال .

شيرون : إنها لحظة تتطلب الجرأة النادرة .

ديمتريوس : أما أنا فسواء أكان هذا شراً أم خيراً فإنى مقيم .
حتى أجد النبع الذى يبرد لواعجى ، والرقية التى
تشفى نوباتى ،
كما أقامت فيدرا (١) لاتريم على ضفاف
« ستيكس » بين أشباح الموتى .

(يخرجون)

(١) Per Styga, per menes Vehor — المعنى المقصود هو « أن شيئاً لن يصرفه » والجملتان من مسرحية سنكا Phydra « فيدرا » .

الفصل الثانى

المنظر الثانى

غابة — أبواق ونباح كلاب الصيد . يدخل تيتوس أندرونيكوس وصيادون . . ثم ماركوس ولوكيوس وكوينتوس ومارتيوس

تيتوس : بدأ الصيد والنهار سافر أشهب ،
والحقول عبقة والحراج خضراء .
فلنطلق الكلاب لترفع صوتها بالنباح ،
حتى يستيقظ الإمبراطور عروسه الجميلة ،
وينهض الأمير . اقرعوا أجراس الصيد ،
حتى يمتلىء البلاط بأصداء دويها
ولتكن مهمتكم يا أولادى .. كمهمتى ،
أن تحرسوا الإمبراطور بكل عناية .
فقد أزعجت فى منامى الليلة ،
وإن كان النهار الوليد قد ألهمنى السكينة من جديد .

(تنبح الكلاب وينفخ فى الأبواق . ويدخل ساترنينوس وباسيانوس ولافينيا ، وديمتريوس وشيرون والحاشية) .

ألف صباح الخير يا مولاى ،
ولك مثلها يا سيدتى ، إشراقاً وعدداً .

لقد وعدت جلالتكما أن أطلق لكما دعاء الصائدين.

ساترنينوس : ولكنكم قد قرعتم ، أيها السادة ، الطبول قرعاً عنيفاً ،
مبكرين بها بعض الشيء على السيدات حديثات
عهد بالزواج .

باسيانوس : ماذا تقولين فى هذا يا لافينيا ؟

لافينيا : إنه غير صحيح
فأنا مستيقظة كل اليقظة منذ ساعتين أو أكثر .

ساترنينوس : هلم بنا إذن ، أعدوا لنا الجياد والعربات ،
وهيا لصيدنا . (لتامورا) ستشهدين الآن يا سيدتى ،
قنصنا الرومانى .

ماركوس : لدى يا مولاى من الكلاب
ما يثير أكثر النمرات فى منطقة الصيد ، زهواً بقوتها ،
وفى وسعها صعود قمم الآكام العالية .

تيتوس : ولدى من الجياد ما يلحق بالصيد
أينما ذهب ، وما يعدو على السهول بسرعة الطير .

ديمتريوس : أما نحن ، يا شيرون ، فلن نصطاد لا بالكلب
ولا بالجواد
ولكننا نأمل أن نلقى بظبى للذيذ أرضاً .

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الثالث

موضع منعزل فى الغابة — يدخل هارون وفى يده حقيبة بها ذهب

هارون : قد يظن الفطن أنى عديم الفطنة
إذ أدفن كل هذا الذهب ، تحت شجرة ،
ولست أنوى العودة لأسترده .
فليعلم إذن ، من يزدرينى ،
أن هذا الذهب إنما تحاك به خيوط مؤامرة
سيتولد عنها — لو نفذت بدهاء وحذر —
نوع رائع من الشر والإجرام .
ارقد هادئاً إذن أيها الذهب الحبيب لتقلق بال هؤلاء .
(يخفى الذهب)
الذين يلتمسون العطاء من ذخيرة الإمبراطورة[1]
(تدخل تامورا)

تامورا : حبيبى هارون ، لم يبدو الحزن فى نظرتك وكل
شىء يزدهى بهيجاً

(١) معنى البيت غامض ، ويظن أن المقصود بالعطاء العقاب والانتقام وأن صندوق الإمبراطورة أو ذخيرتها يعنى دهاءها الفذ الذى لا يفكر إلا فى الشر لهم .

إن الأطيار لتنشد الأنغام على كل غصن ،
وإن الثعبان ليرقد ملتفاً حول نفسه فى الشمس المنعشة ،
والنسيم الرطب يهز أوراق الشجر الخضراء
فترسم ظلالها خطوطاً متقاطعة على الأرض .
هلم بنا يا هارون ، نجلس إلى فيئها الظليل ،
نسمع الصدى المجمجم يسخر من نباح الكلاب ،
ويردد الصوت محيياً الأبواق وهى توقع الأنغام ،
فكأنما هناك موكبان للصيد يسمعان فى آن واحد .
هلم نفترش الأرض لننصت إلى صوت صياحهم ،
وكأنما قد انتهينا من جهد ، كهذا الذى بذله فيما يروى
الأمير الجواب ثم تمتع به هو وديدو [1]
عندما فاجأتهما عاصفة مسعدة
فاستترا بكهف يخفى السر ويكتمه
هيا فليلتف كل منا فى أحضان الآخر مثلهما ،
حتى إذا فرغنا من متعتنا استسلمنا إلى نوم هنىء .
فى حين تكون الكلاب ، والأبواق ، والأطيار الشادية ،

(١) ديدو : أميرة يروى عنها فى الأساطير الرومانية أنها أسست قرطاجنة وأصبحت ملكة عليها ، وقد خلد فرجيل قصة حبها مع إينياس البطل الطروادى الذى ظل يجوب البحار بعد سقوط طروادة حتى وصل إلى قرطاجنة فأحبته « ديدو » ثم قتلت نفسها بعد أن تركها وسافر .

قد تألقت من حولنا وكأنها أغنية أم رءوم
ترنم بها لطفلها لينام .

هارون : سيدتى ، إن كانت فينوس[1] بحبها تتحكم فى رغباتكم
فإن ساترن[2] بنحسه يسيطر على رغبتى ،
وإلا ففيم النظرة الثابتة المحملقة فى عينى ؟
ولم هذا الصمت وهذا الحزن المكفهر ؟
لماذا تسترسل الآن غدائر شعرى المجعد
وكأنه حية رقطاء تتمدد لكى تأتى عملا مميتاً ؟
إن هذه ليست أمارات الشهوة يا سيدتى ،
إنما هى أمارات الانتقام فى قلبى ، والموت فى يدى ،
والدم والثأر يدقان كالمطارق فى رأسى .
أنصتى ، يا تامورا ، يا مليكة روحى ،
وروحى لا تطمع فى نعيم أكثر مما تجده فيك ،
إن اليوم هو يوم حساب باسيانوس ،

---

(١) فينوس : الزهرة إلهة الحب .

(٢) ساترن : زحل : يعتقد الناس أن لساترن أثراً سيئاً فى مواليد برجه وأنه يدفع بهم إلى الكوارث بل الجرائم .

ولا مفر من أن تفقد زوجه لسانها كفيلوميل[١] .
إن ابنيك سيغتصبان عفافها ،
ثم يغسلان أيديهما فى دماء باسيانوس .
أترين هذا الخطاب ، إنى أرجوك أن تحمليه
وتعطيه للإمبراطور ، فنى الورقة الملفوفة مؤامرة فتاكة .

لا تسأليني شيئاً آخر الآن فإننا مراقبان ،
وأرى مقبلا علينا جزء من غنيمتنا المرجوة ،
لم يفزعهم بعد ، ما ينتظر حياتهم من دمار وفناء .

تامورا : آه أيها الأسمر العزيز ، يا من هو أعز عندى من الحياة .

هارون : كفى الآن ، أيتها الإمبراطورة العظيمة ، لقد جاء باسيانوس ،
فاصطنعى الغضب منه حتى آتى بأبنائك ،

---

(١) فيلوميل : ابنة بانديون ملك أثينا وأخت بروجنى اعتدى عليها صهرها وزوج أختها تيريوس ملك تراقيا ثم قطع لسانها حتى لا تفضح جريمته . ولكنها استطاعت أن تنسج صورة على قطعة من القماش رسمت عليها الجريمة . وعند ذلك اتفقت الأختان على الانتقام وقتلتا ابن المجرم وقدمتاه لأبيه فى طعامه . وعندما علم تيريوس بذلك أراد الانتقام من جديد فسخت فيلوميل نفسها بلبلا و بروجنى قبرة لتهربا منه .

فيناصروك فى شجارك معه أيـًّا كان سببه .

(يخرج باسيانوس ولافينيا وقد سمعا آخر الحديث)

باسيانوس : من ذا نرى هنا ؟ أهى إمبراطورة روما الملكية ،
عاطلة عن حاشيتها اللائقة بمقامها ،
أم أنها ديانا ، قد تزيت بزيها
وهجرت أحراجها القدسية ،
لتشاهد القنص العظيم فى هذه الغابة ؟

تامورا : أيها الوقح المجترئ المتلصص على خطواتنا ،
لو أن لى القدرة ، التى يقولون إنها كانت لديانا
لغرست الآن على جبينك
قرنين كقرنى أكتيون (١) ، ولأطلقت الكلاب
خلف أطرافك بعد أن أكون قد فرغت من مسخها
أيها الوقح المتطفل !

لافينيا : على رسلك ، أيتها الإمبراطورة اللطيفة !
فالشائع عنك أن لك موهبة عظيمة فى تركيب القرون ،
وأغلب الظن أنك وهذا الأسمر ،
انفردتما هنا لتقوما بتجارب فى هذا الشأن .

---

(١) أكتيون : صائد يونانى تلصص على أرتيمس إلهة الصيد وهى تستحم فمسخته وعلا وعدت وراءه الكلاب حتى مزقته .

فليحم الله زوجك من كلابه اليوم ،
فإنى لأخشى ، واحسرتاه أن تحسبه الكلاب وعلا .

باسيانوس : صدقينى أيتها الماكة ، إن هذا القرمى[1] الأسمر
الذى لا يعرف نور النهار ،
قد صبغ شرفك بلون جسمه ؛
فأصبح ملطخاً ، تقراً ، بغيضاً .
لماذا انفصلت عن حاشيتك كلها
ولماذا نزلت عن جوادك الأصيل ، الأبيض كالثلج ،
وجلت بعيداً حتى وصلت إلى هذه البقعة المنعزلة
لا يصحبك غير أسمر من الهمج ،
إن لم يكن رائدك الذىقاد خطاك إلى هنا هو الشهوة الأثيمة ؟

لافينيا : فلما فوجئت فى عبثك وفسادك
كان هذ سبباً كافياً لاتهام مولاى النبيل
بالقحة . أرجوك ، هيا بنا من هنا ،
ودعها تنعم بحبيبها الأسود سواد الغربان ،
فما أصلح هذا الوادى ، لهذا الغرض .

(١) Cimmerien يقال إنهم قوم يعيشون بعيدين عن ضوء الشمس .

باسيانوس : سيعلم بكل هذا أخي الملك .

لافينيا : نعم ، فمنذ زمن ، والناس تعلم عنك هذه المخازى .
ألا ما أطيبه من ملك . وما كان لمثله أن يهان هذه الإهانة الفظيعة!

تامورا : لم أصبر على احتمال هذا كله ؟

(يدخل ديمتريوس وشيرون)

ديمتريوس : ماذا هناك أيتها الملكة العزيزة ؟ ماذا أيتها الأم الكريمة ،
لم يبدو على جلالتك الشحوب والذبول .

تامورا : أما يليق بي أن أكون شاحبة
وقد استدرجني هذان الاثنان إلى هذا المكان ،
إلى واد أجرد بغيض كما ترى ،
قد زوت أشجاره ، وتعرت غصونها ونحن ما زلنا في الصيف ،
وطغى على أرضه الدابوق [1] والطحلب .
إن الشمس لا تشرق هنا أبداً ولا يخصب هنا

---

(١) الدابوق Viscum Album نبات طفيل ينبت في أوربا وينمو في بريطانيا بكثرة على أشجار التفاح . تميل ثمرته إلى البياض ، ويصنع منها عجينة تغطى بها الأغصان فتصيد الطيور التي تلتصق عليها .

إلا بوم الليل وغراب البين المشؤوم .
وعندما كشفا لى عن هذه الحفرة البغيضة ،
قالا لى : هنا ، بعد أن يهدأ الليل ويشتد الظلام
سيخرج ألف شيطان ، وألف ثعبان ،
وعشرة آلاف ضفدع سام ومثلها من العفاريت عداً ،
لتصدر عنهم جميعاً ، صيحات مخيفة مختلطة ،
لا يكاد يسمعها كائن حى ،
حتى يجن جنوناً أو يموت فجأة .
وما كادا يفرغان من هذه الحكاية الجهنمية ،
حتى قالا لى ، إنهما سيقومان بشد وثاقى هنا ،
إلى جذع شجرة مشؤومة من السرو ،
ثم يتركانى لهذه الميتة الشنعاء .
وراحا يطلقان علىّ سبابهما : أيتها الزانية الأثيمة ،
أيتها القوطية الشهوانية ، وكل لفظ قارص ،
فى هذا المعنى يمكن أن تسمعه أذن .
ولولا أنكما قدمتما ، بمصادفة عجيبة ،
لكانا قد نفذا انتقامهما فىّ .
انتقما إذن ، بحق ما ترغبان لأمكما من حياة ،
وإلا فلستما ابنىّ بعد اليوم .

ديمتريوس : إليك الدليل على أنني ابنك

(يطعن باسيانوس)

شيرون : وتلك منى ، ضربة فى الصميم لتثبت قوتى

(يطعن باسيانوس أيضاً فيموت)

لافينيا : هلم أنت يا سميراميس الفاجرة . لا بل يا تامورا المتوحشة
فما يليق بطبيعتك اسم غير اسمك .

تامورا : أعطيانى هذا الخنجر ، فستريان يا ابنىّ
أن لأمكما يداً تستطيع أن تغسل عنها الإهانة .

ديمتريوس : مهلا يا سيدتى ، فأمامها من الجزاء شر من هذا ،
سندرس القمح أولا ثم نحرق القش .
إن هذه الصبية تفاخر بعفافها ، وتعتز
بالولاء ليمين الزوج وبإخلاصها له .
إنها تتحدى جلالتك ، بهذا الأمل الخلاب ،
أن تدفن فى قبرها وهى وفية مخلصة ؛ فهل نمكنها
من ذلك ؟

شيرون : لو أنها فعلت ذلك لتمنيت أن أكون خصياً .
اسحب جثة زوجها إلى حفرة خفية هنا
لنتخذ من جسده الميت وساداً لملاذنا .

تامورا : ولكن ، إذا ما حصلتما على ما تشتهان من عسل

فلا تتركا النحلة تعيش لتلدغنا جميعاً .

شيرون : اطمئنى يا سيدتى ، سنستوثق من كل هذا .
تعالى ، يا حلوة . فسنستمتع رغم أنفك
بهذا الشرف الذى أحسنت صونه .

لافينيا : آه يا تامورا ، ألك حقًّا وجه امرأة ؟ !

تامورا : إنى لا أحتمل سماعها تتكلم ، خذوها بعيداً .

لافينيا : أيها السادة الكرام ، استحلفوها أن تسمع منى كلمة واحدة .

ديمتريوس : أنصتى لها يا سيدتى ، وليكن من دواعى فخارك
أنك تشهدين دموعها ، ولكن ليكن قلبك من دموعها
كقطعة من الصوان لا تلين لقطرات المطر .

لافينيا : منذ متى علمت الجراء الصغار أمهم النمرة ؟
لا تلقنوها ما الحقد ، فقد علمتكم إياه .
إن اللبن الذى رضعتموه منها قد استحال إلى جلمود صخر ؛
فتعلمتم القسوة والطغيان وأنتم على ثدييها .
ولكن ، قد يختلف الأبناء وأمهم واحدة
(منصرفة إلى شيرون)

توسل إليها أن تثبت أن لها شفقة امرأة .

شيرون : ماذا ؟ أتريدينى أن أثبت لك أنى ابن الإثم ؛

لافينيا : حقًّا ، إن الغراب لا يلد قبرة .
ولكن ، كم سمعت — وآه لو يتحقق هذا الآن ! —
إن الأسد قَبِل يوماً ، وقد حركته الشفقة ،
أن تقلم أظفاره النبيلة كلها .
ويقال إن الغربان قد تعطف على الطفل اليتيم
حتى لتترك فراخها فى الوكر تموت جوعاً .
كونى لى مثلها ، وإن أبى قلبك القاسى ،
إنى لا أطمع منك فى كرم ككرمها ولكنى أطمع
فى جزء من شفقتها .

تامورا : أنا لا أفهم ما تعنين ، خذوها بعيداً .

لافينيا : دعينى أفهمك ، أستحلفك بأبى
الذى أنقذ حياتك وكان فى إمكانه أن يقتلك ،
ألا تكونى قاسية القلب ، وافتحى لى آذانك الصماء .

تامورا : إذا كنت أنت لم تسيئى إلى
فإننى — من أجله هو — أقسو عليك قسوة لا ترحم .
تذكرا يا ولدى ، كم ذرفت الدمع عبثاً ،
لأنقذ أخاكم من أن يضحى به ،

غير أن أندرونيكوس المتوحش ، لم يلن لى .
خذاها إذن بعيداً ، وافعلا بها ما شئتما
وبمقدار ما تسيئان إليها سيزداد حبى لكما .

لافينيا : يا تامورا كونى رفيقة ، واقتليني هنا ، أنت بيديك ،
فما كنت لا أطيل الرجاء لو أننى سألت الحياة ،
ولكننى أنا المسكينة ، قد انتهت حياتى منذ مات
باسيانوس .

تامورا : ماذا تسألينني إذن أيتها المجنونة ، ابعدى عنى ا،

لافينيا : لا أسألك إلا الموت السريع ، وشيئاً آخر فحسب ،
شيئاً تستنكر أنوثتى أن يفصح به لسانى ،
احميني من شهوتهم فهى شر من القتل ؛
ألقى بى فى أية حفرة بغيضة ،
حتى لا تقع على جثتى عين إنسان .
إنك إن فعلت بى هذا ، كنت قاتلة رحيمة .

تامورا : أوَ أسلب أولادى الأعزاء ، أجرهما ؟ !
كلا ، سأتركهما ليشبعا شهوتهما منك .

ديمتريوس : هيا فقد أخرتنا هنا طويلا .

لافينيا أما من رحمة ، أما من حرمة للعرض ، أيتها الحيوان المفترس ،
يا عدوة المرأة وجنسها كله يا وصمة الشرف
ألا فليحل الخراب . . .

شيرون : سأمنع إذن لسانك من الكلام ، هات زوجها ،
فهذه هي الحفرة التي أمرنا هارون أن نخفيه فيها

(يلقي ديمتريوس بجثة باسيانوس في الحفرة ويخرج هو وشيرون وهما يجذبان لافينيا)

تامورا : مع السلامة يا بني ، تأكدا من الإجهاز عليه .
فلن يعرف قلبي الفرحة حقًّا ،
حتى يُقضى على آل أندرونيكوس جميعاً .
فلأذهب الآن لأبحث عن أسمري المحبوب . . .
تاركة لولدي الملتهبين أن يمتهنا عرض هذه العاهرة .

(تخرج . ويدخل هارون ومعه كوينتوس ومارينوس)

هارون : تقدما يا سيدي ، وليكن السبق في الخطو لخير قدمي كل منكما
سأصل بكما حالا إلى الحفرة البشعة ،
التي اكتشفت فيها فهداً غارقاً في نومه .

كوينتوس : مهما يكن ما نتوقع فإن بصرى قد كل [١]

مارتيوس : وبصرى أيضاً ، وأقول لك الحق ، لولا الملامة ،
لتركت صيدنا ونمت برهة .

(يقع فى الحفرة)

كوينتوس : ماذا ؟ أوقعت ؟ أى حفرة غرارة هذه !
إن فتحتها مغطاة بالعوسج الوحشى الملتف ؛
وعلى أوراقه قطرات من دم حديث السفك .
إنها لا تزال ندية كندى الصبح المقطر على الزهر .
إنها لتبدو لى موضعاً مشؤوماً .
تكلم يا أخى ، هل أصبتَ فى سقطتك ؟

مارتيوس : آه يا أخى ، أصبت بأبشع ما تحزن به العينُ القلب ،

هارون (على حدة) : سأحضر الملك فيجدهما هنا ،
فيتبادر إلى ذهنه مما يرى
أنهما هما اللذان قتلا أخاه .

(يخرج)

مارتيوس : لم لا تخلصنى وتساعدنى على الخروج ،
من هذه الحفرة النجسة الملطخة بالدماء .

---

(١) هذا البيت وما بعده من هذا الجزء من المنظر ، ضعيف كما يرى بيلدون ، فتصرفات كوينتوس ومارتيوس لا تليق بابنين من أبناء تيتوس ، ولا يمكن تفسير هذه التصرفات إلا باقتراض أنها تحت تأثير عقار أو جنى . وكان يجب أن يوضح ذلك .

كوينتوس : لقد اجتاح قلبي خوف مجهول ،
وتدفق على مفاصلي المرتعشة عرق بارد ؛
إن قلبي ليتوقع أكثر مما يمكن أن ترى العين .
مارتيوس : صدق حدس قلبك ، وإليك الدليل !
انظر أنت وهارون ، انظرا فى هذه الحفرة ،
إنه لمنظر بشع من الموت والدماء ،
كوينتوس : لقد ذهب هارون وقلبي المتوجس
لا يريد لعينى أن ترى
ما أرجف خوفاً من مجرد توقعه .
آه ، قل لى من هو ، فما كنت قبل الآن
طفلا يخشى ما يجهله .
مارتيوس : إنه السيد باسيانوس يرقد قتيلا هنا غارقاً فى دمه
وكله كومة واحدة وكأنه الحمل الذبيح ،
ملقى فى جوف هذه الحفرة البغيضة المظلمة المروية بالدم .
كوينتوس : وكيف عرفته إذا كانت مظلمة ؟
مارتيوس : إنه يلبس فى أصبعه الدامى ،
خاتماً ثميناً ينير الحفرة كلها ؛
وكأنه السراج الذى ينير نصباً للناس

وقد تألق ضوؤه فأضاء خد الميت
المعفر بالتراب . وأظهر جوف الحفرة العابس الوعر
كما طلع القمر شاحباً على جثة بيراموس [١]
حيث رقد غارقاً فى دمه الطاهر ،
آه يا أخى ، أعنى بيدك الواهنة ،
فلئن يكن الخوف أذهلك كما أذهلنى
فأعنى على الخروج من هذه الهاوية التى تودى بكل
من يقع فيها ؛
إنها لبغيضة حتى لكأنها مدخل نهر كوكيتوس [٢]
على باب الجحيم حين يلفه الضباب .

كوينتوس : امدد إلىّ يدك فإما أن أساعدك على الخروج ،
إذا ما عجزت عن إسداء هذه اليد إليك ،
فستجذبنى أنت ويبتلعنى القاع ،
قاع هذه الحفرة العميق التى أصبحت قبر باسيانوس
المسكين .

---

(١) بيراموس : شاب بابلى قتل نفسه لأنه اعتقد أن خطيبته «تيسبى» قد افترستها لبؤة . فلما عرفت الخطيبة بموته قتلت نفسها على جثته .

(٢) كوكيتوس : نهر من الأنهار الستة التى تجرى فى الجحيم ويطلق الاسم على الجحيم بعامة .

أنا عاجز عن جذبك لأرفعك إلى الحافة .

مارتيوس : وأنا عاجز عن الصعود ، إذا لم تعنى .

كوينتوس : هات يدك إذن مرة أخرى ؛ فلن أدعها تفلت من جديد

حتى تصعد إلى هنا أو أسقط أنا .
فإذا لم تستطع أن تأتى إلى فإنى آت إليك

(يقع فى الحفرة)

(يدخل هارون ومعه ساترنينوس)

ساترنينوس : هلم معى لأرى ما شأن هذه الحفرة ،
ومن هذا الذى وثب إليها فهوى فيها .
من أنت يا هذا الذى هوى الآن
فى هذه الثغرة المفتوحة فى الأرض ؟

مارتيوس : هذا أنا التعس ، ابن أندرونيكوس الكهل ،
جىء بى إلى هنا فى ساعة مشئومة ،
لأجد باسيانوس أخاك ، ميتاً .

ساترنينوس : أخى مات ! إنك لا شك تهزل .
إنه هو وزوجه كلاهما فى البيت الصغير ،
فى أقصى شمال ميدان الصيد هذا الجميل
ولما تمض ساعة بعد منذ تركتهما هناك .

مارتيوس : إننا لا ندرى أين تركته حيًّا ،
ولكن واحسرتاه قضى الأمر ، وها هو ذا وجدناه
هنا ميتاً

(تدخل تامورا ومعها حاشيتها ثم تيتوس أندرونيكوس ولوكيوس)

تامورا : أين مولاى الملك ؟

ساترنينوس : هنا يا تامورا ، لكننى حزين وحزنى قاتل !

تامورا : أين أخوك باسيانوس ؟

ساترنينوس : إنك تسبرين بهذا أعماق جراحى ،
فباسيانوس المسكين يرقد قتيلا هنا

تامورا : إذن لقد تأخرت أنا فى إحضار هذه الرسالة المفجعة .
(تناوله الخطاب)
إن فيها خطة تنفيذ هذه الفاجعة المفاجئة .
لكم ذا أعجب كيف يُخفى وجه الإنسان .
مثل هذه الوحشية القاتلة وراء الابتسامات العذبة

ساترنينوس (يقرأ) : إذا أخطأنا التوفيق ولم يتح لنا أن نقابله
ونحن نعنى باسيانوس أيها الصياد العزيز ،
فافعلْ ما تستطيع لتحفر القبر له .
إنك ولا شك تفهم ما نعنى ! ابحث عن مكافأتك .

بين أشواك القريص[1] ، تحت البيلساتة المشؤومة
التى تظلل فتحة الحفرة ،
حيث سيدفن باسيانوس كما اتفقنا .
نفذ هذا تكسب صداقتنا الأبدية .
آه يا تامورا ، أسمعت بمثل هذا من قبل !
هذه هى الحفرة ، وتلك هى البيلساتة ،
انظروا أيها القوم ، فقد تعثرون على الصياد ،
الذى كان عليه أن يقتل باسيانوس هنا .

هارون : مولاى الكريم ، وهذا كيس الذهب !

ساترنينوس (لتيتوس) : إنهما اثنان من جرائك ، كلبان من النوع الوحشى الدموى
سلبا أخى حياته هنا .
ارفعوهما أيها القوم من الحفرة إلى السجن ،
ودعوهما يقيما هناك حتى نبتكر لهما
صنفاً من العذاب الأليم لم يسمع به من قبل .

تامورا : ماذا ؟ أهما فى الحفرة ؟ يا للغرابة .

---

(١) القريص : نبات ينبت بكثرة فى الأراضى البور ويغطى غصونه شعر شائك .

ألا ما أسهل أن تكتشف الجرائم .

تيتوس : إنى أركع على ركبتى الضعيفتين ، أيها الإمبراطور العظيم ،
وأسألك بدموع ، ليس هيناً علىّ ذرفها ، أن تحقق لى رجاء :
لو أن الجريمة الوحشية التى ارتكبها ولداى اللعينان،
نعم لعينان ، إذا ثبتت عليهما هذه الجريمة . . .

ساترنينوس : إذا ثبتت عليهما ؟ ! إن الأمر لبين كما ترى !
من الذى وجد الرسالة ؟ أنت يا تامورا ؟

تامورا : قد حملها إلى أندرونيكوس نفسه .

تيتوس : نعم فعلت يا مولاى ، ولكن دعنى أكن كفيلا لهما ،
فأنا أقسم بقبر آبائى المقدس ،
أن يكونا دائماً رهن مشيئة جلالتكم ،
حتى يدفعا عن نفسيهما بحياتهما ما حولهما من شكوك .

ساترنينوس : لا ، لن تكفلهما . وهلم اتبعنى ،
فليحضر بعضكم القتيل ، وبعضكم القتلة ،
ولا تسمحا لهما بأن ينطقا بكلمة ، فالجريمة بينة .

والله لو أن هناك نهاية شراً من الموت لنفذناها فيهما .

تامورا : سأرجو الملك يا أندرونيكوس ،

٣:٥ فلا تخش على ولديك فسيجدان لأنفسهما مخرجاً

تيتوس : لوكيوس ! تعال ! تعال لا تقف لتحدثهما .

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الرابع

جانب آخر من الغابة – ديمتريوس وشيرون ومعهما لافينيا وقد اغتصبت وقطعت يداها وبتر لسانها

ديمتريوس : هيا اذهبي الآن . فإن استطاع لسانك النطق ، فاحكى عمن بتر لسانك وعمن اغتصبك

شيرون : أو فاكتبي ما يجول بخاطرك وافصحى عن معانيك ، هذا إذا أمكنتك بقايا ذراعيك من أن تقوى بدور الكاتبة .

ديمتريوس : انظر كيف تنبس بالرموز والإشارات .

شيرون : هلم عودى إلى البيت فاطلبي ماء معطراً لتغسلى يديك .

ديمتريوس : لا لسان لها لتطلب ولا يدين فتغسلهما .
دعنا إذن نتركها للسير فى نزهاتها الصامتة .

شيرون : لو أننى مكانها لشنقت نفسى .

ديمتريوس : إذا كانت لك يدان تعينانك على عقد الحبل

(يخرج ديمتريوس وشيرون ويدخل ماركوس)

ماركوس : من هذه ؟ أهى ابنة أخى التى تعدو هكذا سريعاً ؟ !

كلمة يا ابنة الأخ ؟ أين زوجك ؟
إذا كنت أحلم ، فإنى أهب ثروتى كلها لمن يوقظنى من مثل هذا الحلم .
وإن كنت يقظاً ، فهل من شهاب يسقط على فيصعقنى ،
فأرقد بفضله فى سبات أبدى .
يا ابنة الأخ الجميلة . تكلمى ، أى يد باطشة غليظة ،
بترت وقطعت ، وجردت جسمك وعرته
من غصنيه وهما زينته الحلوة ،
لكم تاق الملوك إلى أن يناموا فى ظلهما الظليل
فلم يظفر منهم أحد بهذه السعادة الكبرى
التى ينالها من يظفر ببعض حبك ، لم لا تكلميننى ؟
وا أسفى ! إنه لنهر قرمزى من الدم الدافق الدافق
وكأنه نافورة فوارة تحركها الريح ،
يتجمع ماؤه ويفيض بين شفتيك القرمزيتين
غادياً رائحاً مع أنفاسك الندية الحلوة .

ولكن ، لا بد أن تيريوس[١] آخر ، قد اعتدى عليك
وبتر لسانك حتى لا تكشفى عنه .
آه ! إنك لتديرين وجهك خجلا !
وبالرغم من كل ما فقدت من دم ،
حتى لكأنه تدفق من صنبور له شعب ثلاث ،
فلا يزال خداك أحمرين كوجه الشمس [٢]
وقد أخجلها لقاء سحابة .
أأتكلم عنك ؟ أأقول هذا ما حدث ؟
آه لو عرفت ما فى قلبك ؟ آه لو عرفت هذا الوحش
لانطلقت فى سبابه حتى أريح نفسى .
إن الأسى المكتوم لشبيه بالتنور المغلق :
يحرق القلب ويحيله رماداً حيث هو .
إن فيلوميل الجميلة لم تفقد إلا لسانها :
فنسجت ما يدور بخلدها نسجاً متقناً دقيقاً وعرضته .

---

(١) انظر ص ٣٠٢ هامش (١)

(٢) وجه الشمس : فى الأصل وجه تيتان ، وهو إله الشمس القديم وأحد العماليق الذين حاربوا جوبتر . واحمرار وجه الشمس خلال السحب أو الضباب صورة مقتعلة — كما يرى بيلدون — لوجه لافينيا وقد أخجلها ما هى فيه من خزى يعبر عنه ماركوس بالسحابة .

ولكنك حرمت يا ابنة الأخ الجميلة حتى هذه الوسيلة .
لقد التقيت بتيريوس أكثر خبثاً ،
فبتر تلك الأصابع الدقيقة ،
التى كانت تستطيع أن تنسج خيراً من نسج فيلوميل .
آه ، لو أن الوحش رأى يديك البيضاء بياض الزنبق ،
وهى تهتز على القيثار كأنها أوراق شجر الحور ،
فتسعد الأوتار الحريرية بتقبيلها ،
إذن لعجز عن أن يمسها بأذى وإن كلفه العجز حياته .

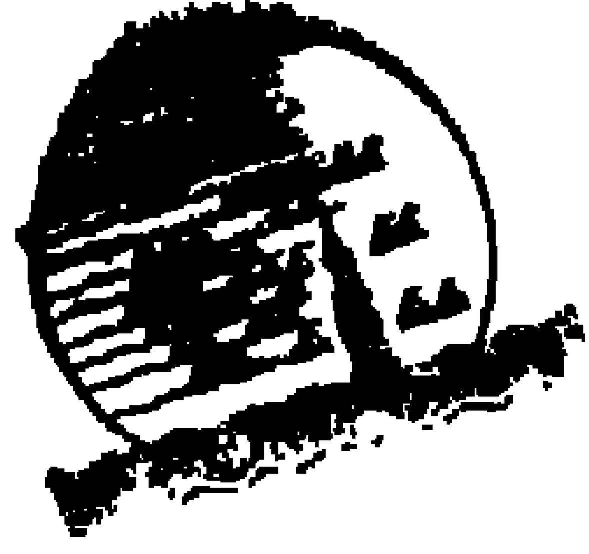
آه لو أنه سمع النغم السماوى
الذى يخرج من لسانك الحلو
لألقى إذن بسلاحه ونام .
كما نام سربيروس [١] كلب الجحيم عند قدمى أورفيوس شاعر تيراس ،
هلم . نذهب لنحمل معنا لأبيك العمى ،
فمثل هذا المنظر حرى بأن يعمى عيون الأب .

---

(١) سربيروس : كلب له ثلاثة رؤوس يحرس أبواب الجحيم وقد غنى له أورفيوس شاعر تيراس فنام الكلب ودخل أورفيوس إلى الجحيم .

إن أمطار العاصفة ساعة تُغرق المروج النضرة ،
فما بال الدموع فى عيون أبيك تهطل شهوراً كاملة ؟!
لا تنفرى. تعالى فإننا سننوح معك ،
آه ليت النواح يخفف من شقائك .

(يخرجان)



الفصل الثالث

المنظر الأول

شارع فى رومـــا

تدخل جماعة من أعضاء مجلس الشيوخ وزعماء الشعب ورجال القضاء وبصحبتهم مارتيوس وكوينتوس فى الأغلال يقادان إلى موضع تنفيذ الحكم ويتقدم الموكب تيتوس وهو يجأر بالضراعة .

تيتوس : أيها الآباء الموقرون استمعوا إلى ، أيها الزعماء النبلاء مهلا ،
أستحلفكم بحياتى التى قضيت شبابها .
فى الحروب الخطرة وأنتم نائمون آمنون .
وأستحلفكم بكل ما سفكت من دم فى معارك روما العظيمة ،
وبكل هذه الليالى القارسة البرد التى أمضيها حارساً مدافعاً ،
وبكل هذه الدموع المريرة التى ترونها الآن ،
وهى تملأ تجاعيد الشيخوخة فى خدودى ،
ارحموا ولدىّ المحكوم عليهما ،

فنفسهما لم تبلغ من الشر ما نسب إليها .
إننى لم أبك على اثنين وعشرين ولداً من أبنائى ،
لأنهم ماتوا فى ساحة الشرف المجيدة ،
أما هذان ، هذان أيها الزعماء ، فإنى من أجلهما
أخط على هذا التراب ،

(يلقى بنفسه على الأرض)

بدموع روحى الحزينة ، وأرسم حسرة قلبى العميقة
دعوا دموعى تشف غلة الأرض الصادية ،
لأنها ستستحى وتخجل من دم ولدى الطاهر

(يخرج الشيوخ والزعماء والآخرون والسجينان معهم)

أيتها الأرض ، سأغمرك بالمزيد من الدمع
يهطل مطراً من هذين الوعاءين العتيقين
أوفر مما يسكبه الربيع الشاب بشآبيبه كلها ،
وفى الصيف المجدب ، سأظل أمطر عليك دمعى
وفى الشتاء سأذيب عنك الجليد بدمعى الحار ،
فأستبقى الربيع ريان خالداً على وجهك
كيما تأبين أن تسقى بدم ولدى العزيزين

(يدخل لوكيوس شاهراً سيفه)

أيها الزعماء المبجلون ، أيها الشيوخ الرحماء

فكوا إسار ولدى وانقضوا حكم الإعدام .
ودعونى أقل — وأنا الذى لم يبك أبداً —
إن دموعى الآن أصبحت هى اللسان الذى أتحدث
به وحده [1].

لوكيوس : أبى النبيل ، عبثاً تبكى .
فالزعماء لا يسمعونك وليس هنا أحد .
إنك تشكو همومك للحجر .

تيتوس : دعنى يا لوكيوس أضرع من أجل أخويك :
أيها الرفاق الموقرون ، أستحلفكم من جديد .

لوكيوس : سيدى الكريم ، لا زعيم هنا ليسمعك تتكلم .

تيتوس : هذا لا يهم يا فتى ، إنهم لو سمعونى
ما التفتوا إلى ؛ ولو التفتوا إلى
لما أخذتهم على شفقة ، ولكنى مضطر أن أضرع :

---

(١) هذا البيت وما بعده : يرى بيلدون أن هذا الحديث الطويل الغريب تصوير لتيتوس وهو فى حال بين الجنون والعقل . وهى حال برع شكسبير فى وصفها فى مسرحياته المتأخرة . ويلفت بيلدون النظر كذلك إلى ما فى الموقف من تهكم شكسبيرى أصيل . فتيتوس الذى يضرع الآن من أجل حياة ولديه هو الذى قتل ابنه وهو الذى رفض ضراعة تامورا لابنها .

وكذلك حديث تيتوس للزعماء ، فهو يضرع إليهم فلا يلتفتون إليه وهم الذين كانوا يريدون منحه السلطان المطلق . ولشكسبير قدرة خاصة على إبراز ما فى سير القدر من تهكم وما فى أهواء الناس من تقلب .

إليهم دون جدوى .
لذلك ، سأشكو همومي إلى الحجر ،
فالحجر ، وإن لم يرق لشكاتى ،
خير من الزعماء ، على نحو ما ،
إنه لن يقطع عليّ الشكوى ،
بل يظل ، إذا بكيت ، متواضعاً عند قدمى ،
يتلقى دموعى وكأنه يبكى معى .
ولو ألبس هذا الحجر ثياباً وقورة ،
لما استطاعت روما أن تخرج إلى الوجود زعيماً خيراً منه.
إن الحجر لين كالشمع ، والزعماء أقسى من الحجر الصلد .
إن الحجر صامت لا يسىء إلى أحد ،
والزعماء بألسنتهم يقضون على الناس بالموت .

(ينهض)
ولكن فيم وقوفك وسيفك مسلول ؟

لوكيوس : حاولت إنقاذ أخوى من الموت ،
فحكم القضاة على ،
بعقوبة النفى المؤبد .

تيتوس : أيها السعيد ، لقد أحسنوا إليك صنعاً ،

نعم ، أيها الأحمق ، لوكيوس ، ألست ترى ،
كيف أن روما أصبحت غاباً تغص بالنمور ،
والنمور لا بد لها من صيد ، وليس فى روما كلها
ما يصاد
إلا أنا وذوىّ . كم أنت سعيد إذن ،
بأن تنفى بعيداً عن هذه الضوارى !
ولكن من هذه القادمة مع أخينا ماركوس .

(يدخل ماركوس ولافينيا)

ماركوس : تيتوس ! هيئ عيونك الواهية للبكاء ،
وإلا فأعدّ قلبك النبيل ليتحطم
إننى أحمل إليك — فى شيخوختك — حزناً سيقضى
عليك .

تيتوس : أوَ يقضى علىّ حقًّا ؟ دعنى إذن أره .

ماركوس : هذه كانت ابنتك .

تيتوس : نعم ، يا ماركوس ، وما تزال .

لوكيوس : ويلى ! إن هذا يقتلنى !

تيتوس : أيها الصبى الخائر القلب ، انهض وانظر إليها ،
لافينيا ، ابنتى ! تكلمى ! أى يد لعينة ،
جعلت أباك يراك بلا ذراعين .

أى أحمق أضاف إلى البحر الزاخر بالألم فيض ألم جديد ،
أوْ حمل لطروادة المشتعلة المتوهجة شعلة من النار ؟
قد فاض حزنى قبل أن تصلى إلىّ .
وأصبح الآن كالنيل يفيض ولا يكترث بسدود تعترضه .
أعطنى سيفاً ، فسأبتر ذراعىّ أيضاً .
لقد حاربتا من أجل روما دون طائل ،
وصانتا لى حياتى حتى أعيش لأرى هذا الويل .
كم رفعتهما فى دعاء لم يستجب ؛
ولقد استخدمتهما طويلا لغرض لا فائدة منه ؛
وكل ما أطلبه إليهما الآن ،
هو أن تعيننى إحداهما على أن أقطع الأخرى .
إنه لمن الخير ، يا لافينيا ، ألا يكون لك ذراعان .
فلا جدوى من كل ما تأتى به الذراعان من أجل روما .

لوكيوس : أختى الوديعة ، انطقى ، من ذا الذى شوهك ؟

ماركوس : آه ، إن هذه الأداة اللطيفة ، أداة تعبيرها
التى كانت تشيع أفكارها فى بلاغة آسرة

قد انتزعت من جوف القفص الجميل ،
حيث كانت تنشد ، كطائر غريد عذب ،
نغماتها الشجية المنوعة لتأسر بها كل أذن وتسحرها .

لوكيوس : أجب أنت إذن عنها ، من فعل بها هذا ؟

ماركوس : وجدتها هكذا ! شاردة فى البستان ،
تحاول أن تستخفى كظبية ،
أصابها جرح لا يبرأ .

تيتوس : كانت ظبيتى الغالية ، والذى أصابها
قد نال منى أكثر مما أردانى بإصابته تلك قتيلا .
فأنا الآن ، كالواقف على صخرة ،
وقد أحاط به بحر واسع ،
فراح يرقب المد المتزايد يعلو موجة فموجة ،
متوقعاً كل حين موجة خبيثة ،
تبتلعه فى جوفها المترع الملح .
من هذا الطريق ، ذهب ولداى الشقيان إلى الموت ،
وابنى الآخر هنا ، منفى من وطنه ،
وهذا أخى يبكى آلامى ،
غير أن اللطمة الكبرى التى أصابت روحى ،
إنما هى لافينيا العزيزة ، فهى أعز على من روحى .

ولو أنني رأيت صورتك يا لافينيا وأنت على هذه الحال ،
لجننت ، فماذا أنا فاعل الآن ،
وأنا أراك على هذه الحال بلحمك ودمك ؟
ليست لك يدان تمسحان بهما دموعك ،
وليس لك لسان تخبريني به عمن شوهك .
أما زوجك فقد مات واتهم بموته
أخواك ، فحكم عليهما بالموت .
انظر يا ماركوس ، وانظر إليها يا ولدى لوكيوس !
لم أكد أذكر اسم أخويها حتى تجمعت الدموع
وسقطت على خديها ، وكأنها قطرات الندى ،
على زنبقة مقتطفة أوشكت أن تذبل .

ماركوس : ربما كان بكاؤها لأنهما قتلا زوجها ،
بل ربما بكت لأنها تعلم أنهما بريئان .

تيتوس : لو أنهما قتلا زوجك ، فأظهرى لنا الفرح ،
فقد انتقم لك منهما القانون .
كلا ، كلا ، لن يقدما على مثل هذه الفعلة الشنعاء ،
وحزن أختهما يشهد بهذا[1] .

---

(١) هذه أول مرة تعرف فيها لافينيا أن أخويها قد اتهما بقتل زوجها. ولا شك أنها تظهر حزناً شديداً لما عرفت وتحاول جاهدة أن تنفى التهمة .

لافينيا الوديعة دعيني أقبل شفتيك ،
أو اصطنعي إشارة أعرف منها كيف أخفف عنك ،
أنجتمع : عمك الطيب ، وأخوك لوكيوس ،
وأنا ، وأنت ، فنجلس حول نافورة ،
نتطلع إلى أغوارها لنرى خدودنا ،
وكيف تقرحت ، فكأنها مروج لم يتم جفافها
بعد أن كساها الفيضان غطاء من الطين ؟
أم نظل نحدق طويلا فى النافورة
حتى يفقد الماء الصافى طعمه العذب ،
وقد أحلناه بدموعنا الساخنة بركة ملحة ؟
أم نقطع أيدينا كما قطعت يداك ؟
أم نقضم ألسنتنا ، ونظل خرساً
حتى تنقضى البقية الباقية من أيامنا التعسة ؟
ماذا نفعل ؟ هلم وما زالت لنا ألسنتنا
نتفاهم بها كيف ندبر أمر شقاء جديد ننزله بأنفسنا
فنثير منا العجب فى غدنا القريب .

لوكيوس : أبى العزيز ، كفكف دموعك فحزنك
كما ترى ، يجعل أختى البائسة تبكى وتنتحب .

ماركوس : صبراً ، يا ابنة الأخ جفف دموعك ، يا تيتوس الطيب .

تيتوس : آه يا ماركوس ، يا ماركوس ، يا أخى ، إنى لأعلم
كل العلم
أنه لم تعد لمنديلك طاقة على أن يشرب قطرة من دموعى
فقد شبعته بللا بدموعك أيها المسكين .
لوكيوس : لافينيا : سأمسح لك خدودك .
تيتوس : انظر يا ماركوس ، انظر ، إننى أفهم إشارتها ،
لو أن لها لساناً ، لقالت الآن
لأخيها ، ما قلته لك .
إن منديله قد أشبع بللا بدموعه الصادقة ،
فما يستطيع لخدودها الحزينة تجفيفاً .
يا لهذا التآسى بيننا !
إنه بعيد عن أن يجدى بعد الجحيم عن الجنة .

(يدخل هارون)

هارون : تيتوس أندرونيكوس ، إن مولاى الإمبراطور
يبعث إليك بهذه الرسالة : إذا كنت تحب ولديك ،
فدع ماركوس ، أو لوكيوس ، أو أنت يا تيتوس
الشيخ ،
أى واحد منكم فليبادر بقطع يده
ويرسلها للملك . وفى مقابل هذه اليد

يرد الملك إليك ولديك حيين ،
وسيعد هذا تكفيراً كافياً عن خطئهما .

تيتوس : ما أرحم الإمبراطور ، وما أكرمك يا هارون ،
وهل غرد الغراب هكذا يوماً كأنه قبرة
تحمل إلى تباشير الصباح الحلوة كما تحملها أنت؟
سأرسل للإمبراطور يدى وأنا راض كل الرضى ،
فهل لك يا هارون ، يا أيها الرجل الصالح ، أن
تساعدنى على بترها .

لوكيوس : تمهل يا أبى ، إن يدك النبيلة هذه
التى طالما أطاحت بكثيرين من أعدائنا
لن ترسل ، إن يدى أنا تفى بالطلب ،
وشبابى يحتمل التضحية بدمه أكثر منك ،
و بهذا لن تفقد حياة أخوى إلا يدى .

ماركوس : أى يد من أيديكما لم تحم روما ،
ولم تشرع سلاح الحرب الدامى
لتنزل به الدمار على رؤوس الأعداء ؟
آه ، ليس بين أيديكما يد لم تأت المجيد من الفعال ،
أما يدى فلم تك قط إلا عاطفة ، فدعونى أستخدمها
فى فداء أولاد أخى من الموت ،

فأحس بذلك أنى حين استبقيتها قد ادخرتها لغرض
مجيد .

هارون : لا ! هلم اتفقوا ، أيكم ستذهب يده إلى الإمبراطور ؟
فإننى لأخشى أن يقتلا قبل أن يجيئهما العفو .

ماركوس : سنرسل يدى !

لوكيوس : لا وحق السماء ، لن ترسل !

تيتوس : كفى خلافاً أيها السادة ، فمثل هذا العشب الذابل ،
أحرى به أن يجتث ، فلتكن يدى إذن !

لوكيوس : أبى العزيز ، لو أردت أن يصدق الناس أننى ابنك ،
فدعنى أخلص أخوى من الموت .

ماركوس : إنى أستحلفك بأبينا وبعطف أمنا علينا
أن تدعنى أبرهن لك على حب أخيك

تيتوس : اتفقا إذن فيما بينكما ، فلن أقدم يدى .

لوكيوس : سألتمس خنجراً .

ماركوس : ولكنى أنا الذى سيستخدمه

(يخرجان)

تيتوس : هارون ، اقترب منى ، فسأخدعهما ؛
أعرنى يدك لتعاوننى فسأعطيك يدى أنا .

هارون (على حدة) : إن كان هذا هو الخداع فسحقاً له ؛ سأكون شريفاً ،

ولن أخدع الناس ما حييت بهذ النوع من الخداع ،
ولكننى سأخدعك يا هذا على نحو آخر ،
ولن يمضى نصفُ ساعة إلا وتعترف أنت نفسك
بالفرق بين خداعى وخداعك ،

تيتوس : كفّا عن خلافكما الآن ، إن ما يجب أن يكون
قد كان ،
أىْ هارون الصالح ، أعط جلالته يدى ،
وقل له إنها يدٌ طالما حمته
من ألف خطر ، واسأله أن يدفنها كما يليق بها ،
إنها تستحق الكثير ، فلا تحرمها هذا على الأقل
أما ولدىّ . فقل له إنى لأرى أنهما
جواهرتان ثمينتان قد اشتريتا بثمن يسير ،
ولكنه مع ذلك ثمن غال ، لأننى اشتريت به ما
ما لا يملكه غيرى ،

هارون : ها أنا ذا ذاهب يا أندرونيكوس ، فتوقع فى مقابل
يدك ،
أن يكون ولداك معك عن قريب .
(على حدة) أعنى رأسيهما ، يا له من شر

يملؤني ، مجرد التفكير فى الإقدام عليه ، زهواً وابتهاجاً .
إنى أترك الخير للحمقى ، وأدع السعى فى اكتساب رضى الناس للبيض ،
فما يريد هارون إلا نفساً سوداء كوجهه .

(يخرج)

تيتوس : آه إنى لأرفع يدى الوحيدة ضارعة إلى السماء ،
وأجثو بجسمى كالحطام الخائر على الأرض .
فإذا كانت هناك قوة تعطف على دموع البائسين ،
فإنى أناديها . (إلى لافينيا) ماذا ؟ أتريدين أن تركعى معى ؟ !
افعلى إذن ! أيتها الحبيبة العزيزة فإن لم تسمع السماء صلواتنا ،
فسيكفهر الجو من أنفاس تنهداتنا ؛
وستغشى الشمسَ غيرةٌ من ضباب آهاتنا كما تغشاها السحب
عندما تحتضن الشمس وهى تذوب من حرها .

ماركوس : أخى تكلم كلاماً معقولا رزيناً ،
ولا تلق بنفسك فى هذه المهاوى السحيقة من الحزن .

تيتوس : أوَ ليست أحزانى عميقة لا قرار لها ،
فليكن إذن عذابى مثلها لا قرار له !

ماركوس : ولكن ، تحكم فى أحزانك بعقلك .

تيتوس : لو أن لهذه الأرزاء أسباباً تعقل
لاتخذت القيود التى أقيد بها حزنى ، وأحدّ منه .
إن السماء إذا بكت غرقت الأرض من فيضانها ،
وإذا عصفت الريح على البحر . ازبد البحر فى جنون يتزايد
وكأنما هو يهدد السماء بصفحته الكبيرة المنتفخة المتعالية .
أوَ تريد بعد ذلك أن تعرف سبباً لهذا الاضطراب ؟!
إنى أنا البحر .. فأنصت . كيف تعصف الرياح
بأنفاس زفراتها الحارة (١)
إنها السماء الباكية . وأنا الأرض ،
ولابد لمياه بحرى من أن تحركها زفراتها !

---

(١) يبدو التكلف والتعقيد فى مواصلة استخراج المعانى من التشبيه الأول . وقد يحس القارئ الحديث أن فى هذا مخالفة بينة لذوقه ، غير أن هذه الطريقة كانت شائعة فى العصر الإليزابيثى . وهذا الأسلوب كان شائعاً لدى شكسبير وغيره من شعراء العصر (بيلدون) .

ولا بد لدموعها وهى تنسكب هطالة غزيرة على أرضى
من أن تجعل منها طوفاناً ، يطغى على كل شىء ويغرق . . .
تسألنى لماذا لا تستطيع أحشائى أن تخفى ويلاتى ،
ذلك أنى كالسكران لا بد لى أن أخرج ما فى جوفى[1] .
سامحنى إذن ، فلا حرج على الخاسرين
من أن يفرجوا عما فى نفوسهم بكلام ممرور .

(يدخل رسول يحمل رأسين و يداً)

الرسول : يا أندرونيكوس المبجل ، شر ما جوزيت
على هذه اليد الكريمة التى أرسلتها إلى الإمبراطور .
إليك رأسى ابنيك النبيلين ،
وتلك يدك قد ردت إليك مهانة بعد أن سخروا منها ؛
فلقد اتخذوا من رزئك تسلية ؛ ومن تفرق أطرافك هزأة ،
فواحسرتا إن مجرد تفكيرى فى آلامك يملؤنى حزناً
أجل من حزنى إذا ما تذكرت وفاة أبى .

---

(١) الصورة غليظة جافية ، وكان المظنون أن يستبعدها شكسبير لو أنه راجع المسرحية ، غير أن بقاءها أدل على خشونة ذوق العصر وجفوته (بيلدون) .

ماركوس : ألا فلتخمد الآن نار بركان « إتنا »[1] المشتعلة فى صقلية ،
وليصبح قلبي هو الجحيم الملتهب الذى لا ينطفئ أبداً ؛
إن احتمال هذه الكوارث لفوق طاقة البشر .
فلقد يخفف عن الباكين مشاركة القوم لهم فى البكاء ،
أما السخرية من أرزائهم فهى الموت المضاعف .

لوكيوس : آه : ما لهذا المنظر البشع يدمى الجرح العميق و يعمقه ،
ومع هذا فلا تنساب الحياة البغيضة مع دمائه ،
فتزايل الجسد !

(يخرج)

يا للموت الذى جعل الحياة تحمل اسمه
حين لم يبق من الحياة سوى ترجيع النفس .

(لافينيا تقبل تيتوس)

ماركوس : واحسرتا على هذا القلب المسكين ، إنها لقبلة لا عزاء فيها ،
كأنها ماء متجمد أمام ثعبان عضه الجوع .

تيتوس : أما لهذا الليل البهيم المخيف من آخر ،

---

(١) بركان إتنا : شمال صقلية الشرقى ، يبلغ ارتفاعه حوالى ٣٫٣١٢ متراً وتتخذه الأساطير مكاناً « لفولكان » وقد اشتهر البركان إلى جانب ذلك بانفجاراته المتقدة الفظيعة .

ماركوس : ودع هذه الأوهام الخادعة ، واستقبل الموت
يا أندرونيكوس ،
إنك لست غافياً ، انظر . هذان رأسا ولديك ،
وهذه يدك المجاهدة ، وهذه ابنتك الشوهاء .
وهذا ابنك الآخر محكوم عليه بالنفى . إن هذا
المنظر البشع
خليق أن يصعقك ، فإذا أنت مصفر قد هرب دمك ،
أما أنا أخوك
فإنى أشبه ما أكون بتمثال من حجر بارد
لا يشعر .
آه ، لن أطالبك بعد الآن بالتعقل والقصد فى
أحزانك ،
هلم انتزع شعرك الأشيب الفضى ، شعرة شعرة ،
ويدك هذه الأخرى ،
هلم فاقرضها بأسنانك ، وليكن هذا المنظر المريع
آخر ما نغلق عليه أبصارنا الشقية .
لقد حان الوقت المؤذن بالعاصفة العارمة ، فلم أنت
ساكن !

تيتوس : ها ، ها ، ها [١] !

ماركوس : لم تضحك وليس هذا أوان ضحك ؟

تيتوس : لم ! لأنه لم تعد فى عينى دمعة واحدة فأسكبها .
إن هذا الحزن عدو مغتصب غاشم ،
أخشى أن ينقضّ على عيونى الدامعة
فيفرض عليها ضريبة من الدمع تعميها .
أين الطريق لأستخفى منه فى كهف الانتقام ؟
هذان الرأسان ، لكأنهما يحدثانى
ويهددانى بأنى لن أظفر بالجنة ،
حتى ترتد هذه الشرور مرة أخرى ،
إلى نحور مرتكبيها .
هلم ، فلأنظر الآن فيما على من تدبير أمر .
التفوا حولى أيها البائسون .
حتى أتجه إلى كل واحد منكم ،
وأقسم له بحياتى أن أنتقم له لما أصابنا فيه ؟

(١) ضحكات تيتوس مسرحية ، فهى تغيير مفاجئ فى الحال الشعورية ، ونقطة بدء جديدة فى أحداث القصة . إن حزن تيتوس الشديد يتحول فجأة إلى شهوة عارمة للانتقام و يبدو أنه وضح فى هذه اللحظة خطة الانتقام التى تقوم عليها بقية المسرحية ، و بعدها تعاوده قدرته على القيادة فيتزعم الجميع من جديد و يرسل لوكيوس إلى بلاد القوط ليجمع جيشاً . (بيلدون)

والآن ، لقد أقسمنا القسم . فهلم يا أخى خذ رأساً
وسأحمل الأخرى فى يدى هذه ،
وأنت يا لافينيا ، ستشتركين فى الأمر .
احملى يدى يا بنيتى الحلوة بين أسنانك .
أما أنت يا ولدى فهلم ابتعد عن ناظرى ،
إنك منفى ، فيجب ألا تبقى .
انطلق إلى بلاد القوط واجمع هناك جيشاً .
وإذا كنت تحبنى حقًّا ، كما أظنك تفعل ،
فهلم نتبادل قبل الوداع ولنفترق ، فإن لدينا عملا كثيراً .

(يخرج تيتوس وماركوس ولافينيا)

لوكيوس : وداعاً يا أندرونيكوس ، يا أبى النبيل ،
إنك لأشقى رجل وجد فى روما ،
وأنت يا روما العظيمة ، وداعاً ، ولكن لابد أن يعود إليك لوكيوس ،
فلقد ترك لديك ودائع أعز عليه من الحياة[1] .
لافينيا ، وداعاً يا أختى الكريمة ،
آه . . لو تعودين كما كنت !

(١) معنى البيت غامض ، والترجمة تماشى تفسير بيلدون .

واحسرتاه إن لوكيوس ولافينيا كلاهما لا يعيش الآن ،
إلا فى زوايا النسيان غارقين فى الأحزان البغيضة ؛
ولئن عاش لوكيوس لينتقمن لما أصابك ،
وليجعلن ساته رنينوس المتعجرف وإمبراطورته
يتسولان على الأبواب كما تسول «تاركوين[1]»
ومليكته .
إننى ذاهب الآن إلى أرض القوط أجمع قوة ،
لأنتقم بها من روما ومن ساترنين .
(يخرج)

(١) Tarquin : ثامن ملوك روما ، اعتدى على سيدة رومانية هى لوكريس فأدت جريمته إلى سقوطه عن عرشه سنة ١٠٥ ق . م كما أدت إلى تأسيس الجمهورية الرومانية وقد كان من بين من تعاونوا على إسقاطه جونيوس بروتس والإشارة إلى هذه الحادثة متكررة فى المسرحية .

الفصل الثالث

المنظر الثانى

غرفة فى دار تيتوس تبدو فيها مائدة ، يدخل تيتوس وماركوس ولافينيا وابن لوكيوس الصغير .

تيتوس : حسناً ، تفعلون ، اجلسوا الآن ، واحرصوا ألا تأكلوا ،
إلا بمقدار ما يحفظ علينا قوة
تمكننا من الانتقام لمصائبنا المريرة .
ماركوس ، احلل عقدة ذراعك التى عقدها الحزن
على صدرك .
فأنا وابنة أخيك كائنان تعيسان قد فقدا الأذرع ،
فلا نستطيع ، وإن طغى علينا الحزن أضعافاً ، أن
نعبر عنه مثلك
بالأذرع المطوية على الصدر ، إن يدى اليمنى هذه
المسكينة
لم تبق إلا لتستبد بصدرى .
فإذا جن قلبى من الألم ،
وأخذ يضطرب فى سجنه الأجوف من جسدى
ضربت صدرى بقبضتى هكذا حتى يهدأ .

(مخاطباً لافينيا) أما أنت ، يا صورة الأسى التي لا تتكلم إلا رمزاً ،
إنك إذا اضطرب قلبك المسكين بوجيبه المجنون الثائر
فإنك لن تستطيعي أن تضربيه هكذا ليسكت .
الفحيه يا فتاتي بنار آهاتك ، واقتليه بحر أنينك ،
أو هاتي سكيناً صغيراً وضعيه بين أسنانك ،
وتعالي إلى أقرب ما تكونين من قلبك ، وافتحي فيه ثغرة ،
حتى تجري الدموع المسفوكة من عينيك المسكينتين
لتنصب في هذا الوعاء حتى يترع ،
فتغرق نفسك الحزينة فيه في بحر ملح من الدموع .

مارکوس : يا أخي ، حسبك ، ولا تعلمها كيف تعتدي
على حياتها الضعيفة بيد آثمة .

تيتوس : ويحك هل أخذت تهذي من الحزن ؟
ما ينبغي أن يجن أحد سواي يا ماركوس ،
أين هذه اليد المجرمة التي ستعدو بها على حياتها ؟
ما بالك تردد لنا كلمة اليد ؟

أوَ تريد أن تسأل إينياس[١] أن يقص من جديد
كيف أحرقت طروادة ، وكيف أصبح شقيًّا ؟
كلا ، لا تعرض لهذا الموضوع ولا تعد لذكر الأيدى ،
حتى لا نذكر أننا فقدناها . .
ويلى ! كم أسوق الحديث كالمجانين !
أوَ يمكن أن ننسى أننا فقدنا أيدينا
إذا لم ينطق ماركوس بلفظة « الأيدى » ؟
هيا ، هيا نقبل على الطعام ، كلى هذا يا فتاتى الوديعة ،
فليس لمثلك أن تشرب ، يا ماركوس ، اسمع ماتقول!
إننى لأفهم رموز هذه الشهيدة جميعاً ،
إنها تقول إنها لا تشرب غير الدموع
التى اعتصرت من حزنها لتمتزج على خدودها فتختمر ،
أيتها الشاكية الصامتة ، سأتعلم كيف أقرأ أفكارك ،
وأجيد ترجمة إشاراتك الخرساء ،

---

(١) إينياس : الأمير الطروادى الذى حارب اليونان بشجاعة أثناء حصارهم لطروادة حتى إذا سقطت سافر إلى إيطاليا ونزل فى منطقة «لاتيوم» . وحياة إينياس هى موضوع ملحمة فرجيل الشهيرة .

إجادة الراهب الفقير لصلواته المقدسة .
إنك لن تتأوهى أو ترفعى ذراعيك المبتورتين إلى السماء ،
ولن يختلج لك جفن أو تحركى رأسك حركة ، ولن تركعى أو تشيرى أية إشارة
إلا استخلصت منها حروفاً أطالعها ،
ثم أواصل المران حتى أتعلم كيف أفهم كل ما تعنين .

الغلام : يا جدى العزيز ، كف عن هذا النواح المخلص الحزين ،
وأدخل السرور على قلب عمتى بحكاية لطيفة .

ماركوس : وا أسفاه على الصبى الرقيق ، يحركه الأسى ،
فيبكى إذ يرى جده فى هذا الكرب الفظيع .

تيتوس : اسكت أيها الصغير الرقيق ، فإنك مصنوع من دموع
وستصهر الدموع حياتك حتى تفنيها سريعاً .

(ماركوس يضرب صحنه بسكينه)

ماذا أصبت بسكينك يا ماركوس ؟

ماركوس : لم أصب يا مولاى غير ذبابة أردتُ قتلها .

تيتوس : ويل لك يا قاتل ! لقد أصبت قلبى ،

أما كفانى ما ملأ عينى من مناظر الطغيان !
إن قتل البرىء جرم
لا يليق بأخى لتيتوس ، هيا اذهب من هنا . .
فما أراك تصلح لصحبتى .

ماركوس : وا أسفى يا مولاى ! إنى لم أقتل إلا ذبابة !

تيتوس : أو ليس لهذه الذبابة أب وأم ؟
أنى لها أن ترفع أجنحتها الرقيقة المذهبة ،
فى الهواء فتقص قصة ما قد أصابها من أحزان .
يا للذبابة المسكينة ، إنها لم تجن شيئاً ،
جاءت إلى هنا ، بطنينها الرشيق
لتدخل السرور علينا ، فإذا بك تقتلها ! !

ماركوس : عفوك يا سيدى ، لقد كانت ذبابة مشئومة سوداء
أقرب ما تكون شبها بالأسود صاحب الإمبراطورة ،
لذلك قتلتها

تيتوس : آ . . . آ . . . آ . . .
اغفر لى إذن أننى لمتك ،
فلقد أتيت عملا طيباً .
هات سكينك ، فأنا أيضاً سأمثل بها ،
موهماً نفسى أنها هى الأسود .

قد جاء هنا ليدس لى السم فى طعامى .
خذى ، هذه لك ، وتلك لتامورا ،
آه ، مرحى !
غير أنى لا أظن أننا نزلنا إلى هذا الدرك
بحيث نشترك كلنا فى قتل ذبابة لا لشىء
إلا أنها أشبهت شخصاً أسود كالفحم .

ماركوس : يا للرجل المسكين ، لقد هده الحزن ،
فرأى الخيالات الباطلة واقعاً مرئياً

تيتوس : هلم ارفعوا المائدة ، وتعالى معى يا لافينيا ،
سأصحبك إلى حجرتك فأقرأ لك ،
قصصاً حزينة ، حدثت فى الزمان الغابر .
وتعال أنت يا بنى معى ، فما زال بصرك غضاً حديداً
فإذا ما كل بصرى قرأت لها أنت بدلا منى .

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الأول

روما — حديقة تيتوس . يدخل تيتوس وماركوس ، ثم يدخل لوكيوس الصغير حاملا في يده كتبه ثم لافينيا تجرى وراءه .

الغلام : جدى ، أنجدنى ، إن عمتى لافينيا
تعدو خلفى فى كل مكان ، ولا أدرى لماذا ؟
يا عمى ماركوس ، انظر ما أسرع عدوها نحونا .
وا أسفا يا عمتى الحبيبة ، أنا لا أفهم ما تعنين .

ماركوس : لوكيوس ! ! تعال إلى جانبي ولا تخش عمتك .

تيتوس : إنها لتحبك يا بنى ، تحبك كثيراً فلا يمكن أن تؤذيك .

الغلام : نعم ، كانت تحبنى أيام كان أبى فى روما .

ماركوس : ولكن ماذا تعنى ابنة أخى لافينيا بهذه الإشارات .

تيتوس : لا تخش منها يا لوكيوس ، فلا بد أنها تعنى شيئاً !
انظر يا لوكيوس ، كم تشير إليك .
وكأنما تريدك أن تذهب معها إلى مكان ما .

تأكد يا بنى أن « كورنيليا »[١] نفسها لم تحرص
على أن تقرئ أولادها ، كما حرصت عمتك على
أن تقرأ لك
الشعر العذب وخطب شيشرون .

ماركوس : ألا يمكن أن تحدس لم تلح هكذا عليك ؟

الغلام : كلا يا سيدى ، ولا يمكن أن أتصور
إلا أنها قد أصيبت بنوبة جنون .
فلكم سمعت جدى يقول :
إن المرء ليجن من وطأة الحزن الشديد .
ولقد قرأت أن هيكوبا الطروادية [٢] ،
قد جنت من الحزن ، لهذا خفت .
وإن كنت أعلم يا سيدى أن عمتى الكريمة ،
تحبنى كما أحبتنى أمى

(١) كورنيليا : كبيرة أسرة جراكى وابنه سكيبيون الإفريقى ، ترملت ولها اثنا عشر ولداً فلم يبق منهم إلا فتاة تزوجت ، وولدان هما تيبيريوس وكايوس جراكى . وقد شهر ابناها بذكائهما وشجاعتهما كما اشتهرا بمصيرهما الفاجع . والإشارة فى البيت إلى حرص كورنيليا على تربية أولادها وتعليمهم كيف يحبون الصالح العام والمجد والشعب .

(٢) هيكوبا Hecuba : زوجة بريام ملك طروادة . وأم هكتور وترويليوس وباريس وكاساندرا . ومصايرهم المفجعة هى التى سببت لها الجنون .

ولن تقدم على إفزاعى وأنا صغير إلا إذا كانت فى فورة جنون ،
لهذا ألقيت بكتبى ، وهربت ؛
وقد لا يكون هناك ما يدعو إلى ذلك ! ! فيا عمتى العزيزة سامحينى .
فإذا جاء معنا العم ماركوس ، فإنى يا سيدتى
على أتم استعداد لخدمتك .

ماركوس : سأذهب يا لوكيوس

تيتوس : ماذا تبغين الآن يا لافينيا؟ ماركوس ، ماذا عساها تعنى بما تفعل ؟
إن هناك كتاباً ، تريد أن تطلع عليه .
أيها يا بنية ، أيها تريدين ؟ افتحها يا بنى .
ولكن مالك ولكتب الصبى ! إنك أوسع اطلاعا ، وأكثر دراية ،
فتعالى واختارى ما تريدين من مكتبتى ،
وأزيحى بهذا الستار عن حزنك حتى تكشف لنا
السماء عن اللعين الذى اقترف هذا الإثم .
لم ترفع ذراعيها على التوالى هكذا

ماركوس : أظنها تعنى أنهما اثنان .

اللذان اقترفا هذا الشر ، نعم اثنان !
أو قد يكون أنها تكل أمرهما إلى السماء لتنتقم لها منهما .

تيتوس : لوكيوس ، ما هذا الكتاب الذى تقلبه ؟

الغلام : هو يا جدى كتاب « أوفيد » : « عن المسخ »
وكانت أمى قد أعطتنى إياه .

ماركوس : لعلها ، حبًّا فى أمك الراحلة ،
تريد أن تستخلصه من بين هذه .

تيتوس : لا ، تمهل ، انظر ، إنها تقلب الأوراق باهتمام ؛
ساعدها ،
ماذا يا ترى تريد أن تصل إليه؟ لافينيا ، أأقرأ لك ؟ .
إنها قصة « فيلوميل » ومأساتها ،
التى تقص خيانة تيريوس واغتصابه لها ،
لكم أخشى أن يكون السر فيما أنت فيه من بلاء هو
« الاغتصاب » .

ماركوس : أخى ، انظر كيف تحدد الصفحات .

تيتوس : يا فتاتى الحلوة ، لافينيا ، أوَ بوغتّ
كفيلوميل ، واغتصبوك وأهانوك ،
وقادوك إلى أحراج مهجورة ممتدة قابضة ؟
انظر ، انظر ! (يقرأ)

نعم إنه لوصف مكان كهذا الذى كنا نصيد فيه .
آه ! لو أننا لم نخرج للصيد هناك فى هذا المكان ؛
لكأنما رسم المكان على نحو ما يصف الشاعر هنا ،
وكأنما أعدته الطبيعة ليكون صالحاً للقتل والاغتصاب.

ماركوس : آه ؛ لم تصنع الطبيعة وكراً قبيحاً كهذا ،
إلا أن تكون الآلهة يسعدها حدوث الفواجع .

تيتوس : أشيرى لنا يا ابنتى الجميلة وافهمينا فليس هنا إلا الأصدقاء ،
أى رومانى جرؤ على هذا الشر .
أتراه ساترنين ، تسلل كما تسلل تاركوين .
عندما ترك المعسكر ليدنس فراش لوكريس ؟

ماركوس : يا ابنة الأخ اجلسى ، واجلس أنت يا أخى إلى جانبى ،
أيتها الآلهة أبوللو ! بالاس ! زيوس ! أومیرکوری !
ألهمونى حتى أستطيع الكشف عن هذه الخيانة !
إن هذه بقعة رملية منبسطة ، فلو استطعت أن تتبعى عصاى
هكذا مثلى ، اكتبى هكذا

(يكتب بعصاه اسمه وقد أمسكها بفمه وحركها بقدمه)

لقد كتبت اسمى ،
ولم أستخدم يداً .
تباً لذلك القلب الذى اضطرنا لأن نلجأ لهذا .
هلم اكتبى يا ابنة الأخ الطيبة ، واكشفى آخر الأمر ،
عمن يريد الله أن يكشفه لنا لننتقم منه .
ولتهدى السماء قلمك ، فتخطى خبر ما أصابك بوضوح ،
لنعرف الخونة ولتظهر الحقيقة .

(تأخذ العصا فى فمها وتحركها بذراعيها المبتورتين وتكتب)

تيتوس : آه ، أقرأت يا سيدى ما كتبت ؟
اغتصاب — شيرون — ديمتريوس —
ماركوس : من ؟ من ؟ ابنا تامورا الفاسقان
هما اللذان اقترفا هذا الإثم الدامى الفظيع !
تيتوس : أيها الإله الأكبر حاكم السماوات العلا ،
إلام تبطئ فى سماع هذه الجرائم ؟ أو رؤيتها ؟
ماركوس : هدئ نفسك يا سيدى ، وإن كنت أعلم
أنه قد كتب على الأرض أن يحدث فيها ما يكفى

لأن يدفع أهدأ القلوب المطمئنة الراضية إلى التمرد والعصيان ؛
ولأن يسلح عقول الرضع الأبرياء كيما تثور .
مولاى ، اركع معى ، واركعى يا لافينيا ،
وأنت أيها الغلام ، يا أمل هكتور [1] الرومانى ،
ولنقسم معاً ، كما أقسم مع جونيوس بروتس الزوج الحزين ،
ووالد العفيفة التى دنس شرفها
إذ أقسموا على أن ينتقموا ممن اغتصب لوكريس ،
أقسموا أننا سنحكم أمرنا ، وسنظل وراء
القوط الخونة حتى ننفذ فيهم انتقامنا المميت ،
حتى نرى دماءهم مسفوكة ، أو نموت بعار العجز عن الانتقام لأنفسنا .

تيتوس : سننتقم ولا ريب ، وسترى كيف يكون الانتقام .
ولكن ، احترس ، إنك إن خرجت لتصطاد الدببة الصغار
فقد تستيقظ أمهم ، فإذا شمت ريحك

(١) هكتور : هو ابن بريام ملك طروادة ، وبطل طروادى كبير قتله آخيل انتقاماً لمقتل بتروكلوس . والإشارة هنا إلى لوكيوس .

فاذكر أنها ما زالت على وفاق تام مع الأسد ،
تضاجعه وتهدهده ليغفو ،
حتى إذا ما نام فعلت ما تشاء .
إنك فى الصيد غير خبير يا ماركوس ، فدع أنت
الأمر حتى لا تثير الريب ،
وتعال معى ، سأحضر صفحة من النحاس ،
وأحفر عليها هذه الكلمات بقلم من الصلب مستدق ،
ثم أضعها جانباً ، فإذا ما هاجت ريح الشمال
الغاضبة ،
بهذه الرمال تطايرت كما تطايرت أوراق العرافة
سيبل [١] .
فكيف تحفظ درسك ، ماذا تقول يا بنى ؟

الغلام : أقول إنى لو كنت الآن رجلا يا سيدى
لما أمنوا على أنفسهم فى مخدع أمهم ؛
أولئك العبيد الأوغاد أرقاء روما .

ماركوس : إن هذا لابننا حقاً ، وما أكثر ما قدم أبوك

---

(١) بهذه الرمال : أى بالرمال التى كتبت عليها لافينيا وأوراق العرافة فى الأصل Sybil's leaves ، وسيبل اسم العرافة عند القدماء .

مثل هذا لوطنه الجحود[١] .

الغلام : وسأظل يا عمى أقدم لوطنى ، ما دمت حياً . .

تيتوس : هلم تعال معى إلى غرفة سلاحى ،
حتى أسلحك يا لوكيوس ، ومن هناك يا بنى
ستحمل من عندى إلى ولدى الإمبراطورة
هدايا ، أريد أن أرسلها إليهما كليهما ،
تعال ! ستحمل رسالتى إليهما ؟ أليس كذلك ؟

الغلام : نعم ، وأغمد فى صدرهما خنجرى يا جدى :

تيتوس : كلا يا بنى ، ليس كذلك ، سأعلمك طريقة أخرى .
تعالى يا لافينيا ، إنى لأوصيك أنت ببيتى يا ماركوس .
فسنخاطر أنا ولوكيوس ونذهب إلى البلاط نفسه .
نعم ، سنذهب يا سيدى ، وسنضطرهم هناك لأن
يهتموا بأمرنا[٢] .

ماركوس : أيتها السماء ، أو يمكن لك أن تسمعى أنين الرجل الصالح

---

(١) مثل هذا : أى من الأعمال الجريئة كتتبع أولاد تامورا حتى تخدعها .

(٢) يشير تيتوس إلى أنهما لن يهملا فى البلاط كما حدث من قبل بل سيفرضا الاهتمام بما يأتيا من أعمال .

ثم ترفقى به أو تعطفى عليه .
عليك يا ماركوس برعايته فى ثورة جنونه ،
فإن ندوب الحزن فى قلبه ، أكثر
من ضربات العدو فى ترسه المثلم .
ولكنه يبلغ من إخلاصه لوطنه أنه لا يريد أن يندفع
للانتقام،
فانتقمى أنت أيتها السماء له ، انتقمى لأندرونيكوس
الشيخ .

(يخرج)

الفصل الرابع

المنظر الثانى

حجرة فى القصر — يدخل هارون وديمتريوس وشيرون من جانب ويدخل لوكيوس الصغير ومعه أحد أفراد الحاشية من الجانب الآخر ، ويحمل تابع لوكيوس طائفة من الأسلحة قد لفت فى أوراق كتبت عليها أبيات شعرية .

شيرون : هذا ابن لوكيوس يا ديمتريوس ،
يحمل إلينا رسالة .
هارون : إنها لا شك رسالة مجنونة من جده المجنون .
الغلام : سادتى ، بكل الخشوع الذى تستطيعه سنى ،
أحمل إلى سموكما تحية من أندرونيكوس .
(على حدة) وأدعو آلهة الرومان أن تلعنكما معاً .
ديمتريوس : شكراً عظيما يا لوكيوس اللطيف . . ما الأخبار ؟
الغلام (على حدة) : الأخبار أنكما كشفتما !
وعرف أنكما مجرمان موصومان بجريمة الاغتصاب .
عن إذنكما (بصوت عال)
لقد رأى جدى ، وهو موفق فيما ارتأى ، أن يرسلنى إليكما
بخير سلاح لديه ؛

حتى تمتعا شبابكما المجيد ،
الذى هو — كما طلب إلى أن أبلغكم — أمل روما .
وإنى إذ أبلغ ذلك ، أتقدم بهداياه
لسموكما ، حتى إذا احتجتما ،
تسلحتما وتهيأتما بكامل السلاح ،
وأستأذنكما الآن (على حدة) أيها السفاكان
الوغدان

(يخرج الغلام والتابع)

ديمتريوس : ماذا هناك ؟ لفة من ورق ، عليها سطور منقوشة
فلنقرأ ما بها :
« من كان نقى القلب بلا جريمة ،
فلن يحتاج إلى نبال العبد الأسود ولا إلى قوسه
وسهامه المسمومة ليملأ بها كنانته» .

شيرون : هذا شعر هوراس ، إنى لأعرفه جيداً
وقد قرأته فى الكتاب المدرسى من زمن .

هارون : نعم ، بالضبط شعر من هوراس ! حقًّا ! فهمتها .
(على حدة) ألا ما أعجب أن يكون المرء حماراً ،
إنها للعبة تفوق الوصف ! لقد كشف الشيخ جريمتهما
فأرسل لهما سلاحاً ملفوفاً بالشعر ،

ليصيبهما فى الصميم وهما لا يشعران .
لو لم تكن إمبراطورتنا الفطنة على فراش الوضع
لصفقت لتدبير أندرونيكوس وخطته ،
ولكن فلنتركها فى عنائها لتستريح من هذا على الأقل .
(بصوت مرتفع) : أيها السادة الشبان ، أو لم يكن نجماً سعيداً ، هذا
الذى قادنا إلى روما ، غرباء لا بل أسرى !
ثم قفز بنا صاعداً إلى هذه المنزلة الرفيعة ؟
كم سررت وأنا أمام باب القصر
عندما تحديت الزعيم على مسمع من أخيه .
ديمتريوس : ولكننى كنت أكثر سروراً ، وأنا أرى سيداً بهذه العظمة
يتنازل ويعطف علينا فيرسل إلينا هدايا
هارون : ألا ترى له حقًّا فى هذا يا سيد ديمتريوس ؟
أو لم تحسنا معاملة ابنته كلّ الإحسان ؟
ديمتريوس : كم أتمنى لو أن ألف امرأة رومانية
وقعن فى أيدينا ، فنشبع شهوتنا منهن واحدة فواحدة .
شيرون : هذه أمانٍ طيبة ، ملؤها الحب .

هارون : لا تنقصكما إلا أمكما ، لتقول آمين .

شيرون : ستفعل ! ولو زدناهن عشرين ألفاً .

ديمتريوس : هلم بنا نصلّ لكل الآلهة كى تخفف عن أمنا الحبيبة .

هارون (على حدة) : صلوا للشياطين فقد تخلت عنا الآلهة .

(دقات طبول)

شيرون : ربما ابتهاجاً بأن صار للإمبراطور ابن .

ديمتريوس : مهلا ، من القادم

(تدخل ظئر ، وطفل أسود)

الظئر : سادتى ، صباح الخير ، ألم تروا هارون الأسود

هارون : أسود ، أبيض ، أو لا لون له [1]

فهذا هو هارون . والآن ماذا تريدين من هارون ؟

الظئر : أيها الطيب هارون ، لقد حل بنا الخطب جميعاً ، أعنا ، وإلا نزل بك أنت الشقاء المؤبد .

هارون : ما هذا المواء يا امرأة ؟

وما الذى تلفينه فى ذراعيك وتتحسسينه بين يديك .

---

(١) لم نرتبط بالمعنى الحرفى لكلمة Moor منذ أول الرواية . فكنا نترجمها عبد أو أسود أو أسمر وقد نقلنا هنا أيضاً التلاعب اللفظى على More, Moor بما يمكن أن يحتفظ باستهجان هارون لطلب المرضعة .

الظئر : شيء حبذا لو استطعتُ إخفاءه عن عين السماء
إنه عار مليكتها ، وفضيحة روما العظمى ،
لقد وضعت ! أيها السادة ، وضعت

هارون : وماذا وضعت ؟

الظئر : أعنى وضعت طفلا

هارون : وماذا فى هذا ! عافاها الله ! وما يكون الطفل

الظئر : شيطان !

هارون : إذن فهى زوجة إبليس ؟
بارك الله فى النسل

الظئر : لا ، إنه نسل بائس ، محزن أسود مشئوم .
هذا هو الطفل ، قبيح كالضفدعة
إذا قارنته بأولاد بلدنا الشقر .
وقد أرسلته الإمبراطورة إليك لأن عليه طابعك
وخاتمك ،
آمرة إياك أن تغمد فيه حد خنجرك .

هارون : خسئت يا عاهرة ! وهل السواد محتقر إلى هذا الحد ؟
تعال يا أحمر الخدين ، إنك برعم جميل بلا ريب .

ديمتريوس : ماذا فعلت يا وغد ؟ !

هارون : فعلت ما لا تستطيع نقضه !

شيرون : لقد أضعت أمنا ؟ !

هارون : كلا يا أحمق ، بل حرصت على امتلاكها .

ديمتريوس : فأضعتها أيها الكلب الجهنمى .
ما أشقى حظها ، ويا بئس الاختيار الزنيم ،
وسحقاً لنسل هذا الشيطان الرجيم .

شيرون : لن يعيش !

هارون : لن يموت !

الظئر : بل لابد أن يموت يا هارون ، إن أمه تريد ذلك !

هارون : تقولين لابد ! إذن لن يُنفذ غيرى أنا
هذا الحكم ، فى لحمى ودمى .

ديمتريوس : سأبقر بطن الضفدع بحد الحسام .
ناولينى إياه أيتها المرضع ، فسيودى به سيفى سريعاً .

هارون : ويصبح هذا السيف أسرع فى إخراج أحشائك
من جوفك .

(يأخذ الطفل من الظئر ويشرع سيفه)

مهلا . أيها الأوغاد القتلة ، أتقتلان أخاكم ؟
إنى لأقسم بكل سراج منير
توهج فى السماء ساعة ولد هذا الصبى ،
أن أقتل بحد حسامى القاصم

كل من يمس خليفتى وابنى الأول .
وإنى لأنذركم أيها الصغار ، بأن أنكلاوس[1] نفسه ،
بكل عصابته المتوعدة من أبناء طيفون ،
بل هرقل العظيم ، بل إله الحرب نفسه ،
لن يقدروا جميعاً على اختطاف هذه الغنيمة من يد صاحبها .
ماذا تظنون يا ذوى الخدود[2] الحمر والقلوب الخاوية ،
إنكما لكالجدران المطلية بالجير ، ولافتات الحانات الملونة ،
أما سواد الفحم ، فخير من أى صبغ ،
لأنه يأبى أن تعلوه أى صبغ آخر غيره .
وإن المحيط بكل مائه
لن يحيل سواد سيقان البجع إلى بياض ،
وإن غسلت سيقانها كل ساعة فى خضم من الماء .
قولا للإمبراطورة عنى إننى قد بلغت من العمر

---

(١) Erceladus ابن طيفون : أحد الجبابرة الذين حاربوا زيوس والآلهة ويقال إنه سجن تحت بركان إتنا .

(٢) يتهكم هارون بملامح القوط وفيهم حمرة وبياض ويشبههم باللافتات الملونة .

ما يسمح لى بأن أرعى بُنىّ كما ينبغى ، ولتلتمس
هى ما شاءت من عذر .

ديمتريوس : أو تخون سيدتك العظيمة على هذا النحو ؟

هارون : إن سيدتى هذه ، عشيقتى ، أما هذا فقطعة من
نفسى .
إنه زهرة شبابى وصورته الحلوة ،
وإنى لأفضله هو على العالم أجمع ،
إنه هو الذى سأحميه على الرغم من الدنيا كلها ؛
فإن لم يرضكم هذا فإنى لأشم ريح عذابكم فى روما .

ديمتريوس : ولكن تصرفك سيفضح أمنا إلى الأبد .

شيرون : ستحتقرها روما على هذه الزلة الفاضحة .

الظئر : وقد يحكم الإمبراطور فى غضبه عليها بالموت .

شيرون : إن وجهى ليحمر خجلا من خزى هذا العار .

هارون : نعم ، فهذا من مميزات جمالكم ، وبياض بشرتكم ،
تبًّا لهذا البياض الخائن الذى يفضح بحمرة الخجل ،
نوايا القلب الخفية ومقاصده .
هذا غلام صغير ، قد قُد لونه من طينة أخرى ،
انظرا كيف يبسم العبد الصغير فى وجه أبيه ،
وكأنما هو يقول : « أنا ابنك أنت أيها الرجل »

إنه لأخوكما أيها السيدان ، لقد غذاه كما تريان فى وضوح ،
نفس الدم الذى وهبكما الحياة ،
ومن نفس الرحم الذى سجنتما فيه حيناً
خرج ! متحرراً إلى ضوء الحياة ،
نعم هو أخوكما لأمكما ، أخوكما من الجانب الذى لا يقبل الشك ،
وإن يكن قد ختم وجهه بخاتمى .

الظئر : ماذا سأقول للإمبراطورة يا هارون ؟

ديمتريوس : تستر علينا يا هارون ، ماذا نفعل ؟
وسنأخذ جميعاً بمشورتك ،
أنقذ الطفل ولكن على نحو ينجينا جميعاً معه .

هارون : إذن فلنجلس جميعاً ولنتشاور ،
ولكنى سأظل ، أنا وابنى ، على حذر ،
فابقيا فى مكانكما ، وتحدثا كما شئتما ، من بعيد فى أمر نجاتكم

(يجلسون)

ديمتريوس : كم امرأة رأت ابنه هذا ؟

هارون : نعم ، هكذا أيها الشجعان ، إننا إذا اتفقنا

كنت كالحمل الوديع ، أما إذا تحديتم الأسود الجريء

فإن الخنزير الوحشي الهائج ، واللبؤة الجبلية الثائرة ،
بل البحر الهائج ، لن يعصف بكم ، كما يعصف هارون .
ولكن أجيبي ، مرة أخرى ، من رأى الطفل ؟

الظئر : كورنيليا القابلة وأنا ؟
ثم لا أحد إلا الإمبراطورة التي وضعته .

هارون : الإمبراطورة ، والقابلة ، وأنت !
قد يحفظ السر بين اثنين ، إذا قضى ثالثهما :
فعودي إلى الإمبراطورة وقولي لها إنني قلت هذا .

(يطعنها)

« ويك . . ويك » : إنه لصراخ الخنازير إذا أعدت للشواء .

ديمتريوس : ماذا تعني يا هارون ، لم فعلت هذا ؟

هارون : هذا يا سيدي الدهاء والحيلة ،
أنتركها تعيش لتفضح إثمنا
وهي نمامة ، ثرثارة طويلة اللسان ؟ كلا ، أيها السيدان ، كلا ،

سأعرفكما بخطتى كلها الآن .
هناك مولى من مواطنى ، يعيش غير بعيد من هنا ،
قد ولدت زوجه ليلة أمس ،
فجاء ابنهما كأمه أبيض مثلكما .
فاذهبا إليه ، واتفقا معه ، وأعطيا الأم ذهباً ،
وقصا عليها ظروف الأمر كله ،
واشرحا لها كيف أن ابنها سيعلو بهذا علوًّا عظيماً ،
وسيعامل معاملة خليفة الإمبراطور ،
لأنه سيوضع مكان ابنى ؛
وبهذا تهدأ العاصفة التى يموج بها البلاط .
ونترك الإمبراطور يدلله على أنه ابنه .
أنصتا إلىّ ألا تريانى أحسنت علاجها ؟ !

(يشير إلى القتيلة)

إن دوركما الآن أن تتفضلا بتشييع جنازتها
إن الحقول قريبة ، وأنتما شباب شهم ينجد النساء .
فإذا انتهيتما من هذه المهمة فلا تضيعا وقتاً ،
بل أرسلا إلى القابلة ،
حتى إذا تخلصنا من المرضع والقابلة ،
تركنا للنساء الأخريات حرية الثرثرة كما يشأن .

شيرون : إنك يا هارون لا تأمن حتى الهواء ،
على الأسرار .

ديمتريوس : بهذه الرعاية ، لتامورا ،
ستأسرها وتأسر ذويها معها .

(يخرج ديمتريوس وشيرون يحملان القتيلة)

هارون : الآن انطلق إلى بلاد الغوط سريعاً خفيفاً كالطير ،
فأودع هناك الكنز الذى بين ذراعى ،
أحيي أصدقاء الإمبراطورة سرًّا .
هلم يا عبد يا غليظ الشفة ، هيا بنا ، فسأبعدك عن هنا
لأنك أنت الذى وضعتنا فى هذا المأزق ،
سأطعمك الجذور والتوت البرى ،
وأغذيك بالرائب و بالمخيض ، وأرضعك من لبن الماعز ، وأسكنك الكهوف وأعدك لتكون
محارباً قوياً تقود جيشاً كاملا .

(يخرج ومعه الطفل)

الفصل الرابع

المنظر الثالث

ميدان عام — يدخل تيتوس يحمل سهاماً علقت بأطرافها رسائل ويدخل معه ماركوس الصغير ، وببليوس وسمبرونيوس وكايوس وآخرون يحملون جميعاً الأقواس .

تيتوس : هلم يا ماركوس ، هذا هو الطريق يا أبناء العم [1] .
والآن يا بنى ، أرنى مهارتك فى الرماية ،
احرص على أن تسدد تسديداً محكماً حتى يصل
السهم إلى مكانه بالضبط .
إن العدالة قد غادرت هذه [2] الأرض ،
تذكر هذا يا ماركوس ، غادرتها ! هربت منها !
إلى آلاتكم أيها السادة ، يا أبناء العم ، هيا جميعاً ،
اسبروا غور المحيط وألقوا شباككم ،
فقد يشاء لكم الحظ السعيد ، أن تعثروا على العدالة
فى البحر ،
وإن كانت نادرة هناك ندرتها على البر .
اتركا هذا ، وأنت يا ببليوس وأنت يا سمبرونيوس ،

---

(١) تيتوس هنا فى حالة بين الجنون والعقل أو هو على الأقل يتظاهر بهذا .

(٢) Terras Astraea reliquit « استراى » هى إلهة العدالة .

احفرا بالمسحاة وبالمعول بدلا من هذا
وشقا الأرض إلى أبعد أعماقها ،
حتى إذا أتيتما إلى مستقر « پلوتو »
فارفعا إليه بالله عليكما هذه الضراعة ،
قولا له ، إنها من أجل استجداء العدالة والعون ،
وإنها مرفوعة من أندرونيكوس ، الشيخ .
الذى هددته الأحزان فى روما الجاحدة .
أى روما ، حقًّا ، إنى أنا الذى أشقاك
حين ألقيت بتأييد الشعب
إلى الذى ينزل بى طغيانه الآن .
هلم فانصرفوا ، وأرجوكم جميعاً أن تلتفتوا كل الالتفات
فلا تفوتنكم سفينة من سفن الحرب دون أن تفتشوها ،
فقد يقوم الإمبراطور الشرير بتهريب العدالة على
سفينة من هنا ،
ثم نقوم نحن أيها الأقارب فندعوها (١)

ماركوس : أوليس من المؤلم ياببليوس
أن يُرى عملك النبيل وقد اختل عقله ؟ !

---

(١) We may go pipe for justice أى ندعوها فلا تستجيب ، والعبارة مستقاة من النص الإنجيل : « ويقولون زمرنا لكم فلم ترقصوا » (متى : ١١ : ١٧)

ببليوس : لذلك نحرص يا سيدى كل الحرص
على أن نرعاه بعناية ، ليل نهار ،
وأن نسايره على هواه مترفقين به غاية الرفق ،
إلى أن يجود علينا الزمان بعلاج عز المنال [1]

ماركوس : لم يعد هناك دواء ، يجدى فى أحزانه ، يا أبناء العم ،
ولكن [2] . .
اذهبوا فحالفوا القوط ، وشنوا حرب الانتقام ،
لتأخذوا فيها بالثأر لأنفسكم من روما الجاحدة ،
وتقتصوا بها من ساترنين الخائن .

تيتوس : ببليوس ماذا ! ماذا أيها السادة ،
ماذا ! هل صادفتم العدالة والتقيتم بها ؟

ببليوس : لا يا مولاى ، غير أن « بلوتو » إله الجحيم يرد عليك قائلا :
إنك إذا طلبت آلهة الانتقام من جحيمه ، جاءتك .
أما العدالة ، فهى جد مشغولة .

---

(١) beget some, careful remedy يبدو أن المعنى — كما شرحه بيلدون — هو أنهم سيجدون بمرور الزمن وبفضل اهتمامهم وانتباههم علاجاً يشفيه من آلامه .
أى يكلف العناء والتعب فى سبيله —

(٢) والشراح يجزمون بسقوط البيت « ولكن » وحدها لا تدل على الانتقال فى المعنى .

إنها — فيما نعتقد — مع الإله الأكبر فى السماء أو فى مكان آخر .
ولابد لك — إذا كنت تريدها — من أن تنتظر قليلا ،

تيتوس : إنه ليسىءُ إلىّ إذ يُعذبنى بالوعود وبالتسويف
سألقى بنفسى فى البحيرة المشتعلة [1] وأغوص فى الأعماق ،
حتى أجرها من كعبها وأنتزعها من نهر آشيرون [2] .
ما نحن إلا أعشاب ضعيفة ، يا ماركوس ، ولسنا كشجر الأرز
لسنا عمالقة كالسيكلوب [3] بقاماتها الضخمة ،
حقًّا إننا قد ولدنا أصحاء أقوياء البنية ،
ولكن المصائب ، حملتنا فوق ما تحتمل كواهلنا
فإذا لم تكن هناك عدالة على الأرض أو فى الجحيم ،
فلنتوسل إلى السماء ، ولنغر الآلهة ،
بأن ترسل العدالة على الأرض لتنتقم لمصايبنا .

---

(١) البحيرة : المشتعلة بحيرة على باب الجحيم .
(٢) أشيرون : نهر فى الجحيم .
(٣) السيكلوب Cyclop : عمالقة مذكورة فى «أوديسا» هومر فى الكتاب التاسع منها .

هلم للعمل ، فإنك يا ماركوس رام ماهر ،

(يعطيه السهام)

خذ هذه لك ، أيها الإله الأكبر ، وهذه لأبولو ،

وتلك لمارس إله الحرب ، أى لى أنا ،

أما أنت يا بنى ، فخذ ، هذه لبالاس ، وتلك لمركورى ،

وهذه يا كايوس ، لساترن لا لساترنين .

وجدير بمثلكم أن يصيب ولو رمى ضد الريح .

هلم يا بنى ، ولا تطلق السهام يا ماركوس حتى آمرك بذلك .

فقد وفقت ، والله ، فيما كتبت ،

فما تركنا إلهاً لم نضرع إليه .

ماركوس : صوبوا سهامكم كلها يا أبناء العم إلى البلاط ،

لنصيب الإمبراطور فى كبريائه .

تيتوس : والآن ، أطلقوا يا سادة .

(يطلقون السهام)

مرحى لوكيوس أحسنت

لقد أودعت هذه صدر « فيرجو » [1] العذراء

---

(١) Virgo مجموعة النجوم (دائرة فلكية) ومعنى الاسم العذراء .

يا بنى ، فأرسل الثانية إلى بالاس .

ماركوس : أماأنا يا مولاى، فقد صوبتها أميالاًفيما وراء القمر [١]
ولاشك أن خطابك الآن بين يدى جوبتر .

تيتوس : ببليوس ، ببليوس ، ماذا فعلت؟
(يضحك)
انظر ،انظر ! لقد أصبت فنزعت من الثور قرنه [٢]

ماركوس : ذلك هو الصيد الحق يا مولاى ، فإن ببليوس عندما
أصاب الثور ، هاج ، فنطح الحمل نطحة
أوقعت فى البلاط قرنى الخروف ،
ولن تظنه وجدهما غير الأسود وغير الإمبراطورة ،
فلما رأت ذلك الإمبراطورة ضحكت وقالت للأسود
« لا عليك الآن
أن تقدمهما هدية إلى سيدك »

تيتوس : حقاً لقد أصبحا له ، متع الله جلالته بهما
(يدخل مهرج معه سلة فيها حمامتان [٣]

(١) من الواضح أن ماركوس يساير تيتوس فى جنونه .

(٢) الثور والحمل من الأبراج الفلكية ، والإشارة إلى القرون و إلى ماتثيره من معنى عدم الغيرة على العرض واضحة متكررة .

(٣) هذا المنظر حيث يدخل المهرج يبدو مقحماً إقحاماً وهو كمنظر السهام والرسائل قد قصد بهما أن يحفظا على النظارة عنف الحركة التى تليها وإن يكن المنظران لا يصلان إلى مرتبة الجودة المطلوبة فى المناظر المسلية . ومنظر المهرج منثور كله .

أخبار ! أخبار من السماء ! وصل البريد يا ماركوس .
ما الأنباء ، أمعك خطابات ؟
أو تنزل إلينا العدالة ؟ ماذا قال رب المشارق[١] ؟

المهرج : يقول رب المشانق ؟ ! إنه يقول إنه أنزلها بعد أن كان
نصبها لأن الرجل لن يشنق إلا الأسبوع القادم .

تيتوس : إنى أسألك ماذا قال جوبتر ، رب المشارق ؟

المهرج : آسف يا سيدى ، إننى لا أعرف جوبتر هذا ولم
أشرب فى حياتى كأساً معه قط .

تيتوس : ماذا أيها الوغد أو لست ساعى البريد .

المهرج : أنا لا أسعى يا مولاى إلا بحمامتى ولا شىء غير
ذلك .

تيتوس : أو لم تأت من السماء ؟

المهرج : من السماء ؟ آسف يا سيدى ، إننى لم أذهب إلى
هناك قط ، ألا فليحفظنى الإله من أن أساق إلى
السماء وأنا كما ترى ما زلت فى شرخ الشباب .
إننى ذاهب إلى محكمة الشعب[١] مع حمامتى ،

(١) قال تيتوس Jupiter وسمعها المهرج Gibbet أى صانع المشانق . وآثرنا الاحتفاظ إلى حد ما بالالتباس الصوتى .

لنفض شجاراً، شجاراً نشب بين عمى ورجل
من رجال الإمبراطور.

ماركوس : هذا يا سيدى خير من يرفع التماسك
فأرسله بهذه الحمائم إلى الإمبراطور.

تيتوس : قل لى، ألا تستطيع أن ترفع التماساً إلى الإمبراطور
وأن ترفعه فى خشوع كما ينبغى[٢] ؟

المهرج : لا والله يا سيدى، إننى لم أؤد صلاة فى خشوع
فى حياتى قط.

تيتوس : صه واقترب، ولا تثر المشاكل بلاسبب.
احمل حمامتيك إلى الإمبراطور.
وأقسم لك أنك ستنال جزاءك العادل على يديه
ولكن قف، تمهل، خذ هذا المال أجراً،
إعطونى قلماً وحبراً . .
وأنت ! أتتطوع إذن لرفع مظلمة.

---

(١) يلاحظ أن المهرج يسعى إلى العدالة ولكن بطريقته العملية، بالرشوة.

(٢) الأبيات ٩٩، ١٠٠، ١٠٦، فى هذه الأبيات تستعمل كلمتا graces, grace والأولى تعنى حسن الأداء وتعنى الثانية الصلاة ولقد أضفنا كلمة خشوع ليتحقق شىء من أثر التورية فى اللفظ.

المهرج : نعم يا سيدى.

تيتوس : خذ إذن ، هاك مظلمة .فإذا ما دخلت عليه فبادر بالركوع ثم قبل قدميه
وناوله حمامتيك ، وانتظر بعد ذلك مكافأتك .
احرص على أن تقوم بهذا فى شجاعة ، فسأكون على مقربة منك .

المهرج : أؤكد لك ، يا سيدى، أنى سأفعل فدع هذا الأمر إلىّ .

تيتوس : اسمع ، هل معك سكين ، تعال أرنى إياها ،
يا ماركوس ، خذها ولفها بالالتماس ،
فلقد كتبته بأسلوب الضارع المتواضع .
وإذا سلمته للإمبراطور
فاطرق بابى لتخبرنى بما قال .

المهرج : الله معك يا سيدى ، وسأفعل ذلك .

تيتوس : هلم يا ماركوس فلنذهب ، وأنت يا ببليوس ، اتبعنى .

(يخرجون)

الفصل الرابع

المنظر الرابع

أمام القصر — يدخل ساترنينوس وتامورا وديمتريوس وشيرون ومعهم جماعة أخرى من الأعيان وغيرهم ، ويحمل ساترنينوس فى يده الأسهم التى رماها تيتوس .

ساترنينوس : ما هذه الإهانات أيها السادة؟ هل رأيتم قبل اليوم
إمبراطوراً . يُذَلّ على هذا النحو فى روما ،
ويتحداه الناس ويثيرونه ، كما ترون ، ألأنه حقق
المساواة أمام العدالة يُقابل بهذه الإهانة ؟
سادتى ، إنكم لتعرفون ، كما تعرف الآلهة ، جلت
قدرتها .
أنه على الرغم مما يلقيه مثيرو الشغب والفوضى ،
من أقوال مكررة فى آذان الشعب ؛ لم يتخذ إجراء
واحد
لا يتفق كل الاتفاق مع القانون ضد العاصين ،
ولدى أندرونيكوس الشيخ . ثم ما ذنبنا نحن ،
إذا كانت أحزانه قد تكاثفت فحجبت عقله ؟
أهكذا يوجه إلينا اعتداءاته الانتقامية ؟
ونوبات جنونه ، وسورة غضبه . وهياج مرارته ؟

إنه يكتب الآن للسماء كي تقتص له :
فهذه رسالة للإله الأكبر ، وتلك لمركورى ،
وهذه لأبولو ، وتلك لإله الحرب ،
ألا ما ألطفها من رسائل تطير محلقة فى شوارع روما !
ماذا يمكن أن يكون هذا إن لم يكن تشهيراً بمجلس الشيوخ ،
ونشراً للأكاذيب عن ظلمنا فى كل مكان ؟
أو ليس هذا الجنون لطيفاً أيها السادة ،
كأنما يريد أن يقول ؛ إنه لا عدالة فى روما .
ولكن ، إن عشت ، فلن يجد فى هذا الجنون الذى يدعيه
ما يستتر وراءه ليبرر وقاحته ،
سيعرف هو وآله أن العدالة قائمة ،
تسير فى ركاب ساترنين . وأنها إذا نامت ،
فسيوقظها ساترنين ، يقظة تستفزها ،
لتستأصل شأفة أقوى متآمر يعيش على وجه الأرض .

تامورا : مولاى الكريم ، حبيبى ساترنين ،
سيد حياتى المسيطر على كل أفكارى ،

هدئ نفسك وتحمل أخطاء تيتوس الشيخ
لأنها من فعل حزنه على ابنيه الكريمين ،
فقد أصابه فقدهما فى الصميم وخلف الندوب فى فؤاده .
والأولى بك أن تواسيه فى حاله التعسة ،
لا أن تحاسبه على الحقير أو الجليل
من هذه الأخطاء فى حقك ، (على حدة) نعم وأولى
بتامورا ذات التدبير الحكيم أن تداهنهم جميعاً .
ولقد أصبتك يا تيتوس فى الصميم ،
فإذا ما سلبتك الحياة نفسها ، وإذا ما كان هارون حكيماً
فإننا نكون قد أمنا على كل شىء وغدت السفينة راسية فى المرفأ .

(يدخل المهرج)

ما وراءك أيها الرجل الطيب ؟ أوَ تريد أن تتحدث إلينا ؟

المهرج : نعم والله ، إذا كنت أنت صاحبة الجلالة !

تامورا : أنا الإمبراطورة ، وهذا هو ، الإمبراطور ، جالس هناك .

المهرج : إنه هومن أريد ! أسعد الله ، والقديس ستيفن [١] ، مساءك . إنى أحمل لك هنا ، خطاباً وحمامتين

(يقرأ ساترنين الخطاب)

ساترنينوس : اغرب عن وجهى ، خذوه بعيداً واشنقوه فى الحال .

المهرج : ولكن كم ستدفعون لى ؟

تامورا : كفى أيها الشقى ، لابد أن تشنق .

المهرج : أشنق ! ! يا سيدتى إذن لقد بلغت إلى نهاية طيبة

(يخرجه الحراس)

ساترنينوس : يا لهذه الإساءات المهينة التى لا تحتمل !
أوَ أصبر على هذا الإجرام البشع ؟
إنى متأكد ممن تصدر هذه الألاعيب .
أوَ يحتمل هذا ؟ لكأنما ولداه الخائنان
اللذان حكم عليهما القانون بالموت ، لجريمة قتلهما أخى ،

(١) God and Saint Styphen دعاء شائع فى أيام شكسبير وأغلب الظن أنه يتجه به إلى النظارة حتى يألفوا المهرج ويطربوا لهذا التناقض التاريخى الملحوظ عندما يسمعون رجلاً رومانياً ينطق بكلامهم الدارج .

قد ذبحتهما أنا بتدبيرى ظلماً وعدواناً .
هلم ، جروا هذا الوغد من شعره إلى هنا ،
ولا ترعوا له حرمة سن أو مقام
سأكون أنا جلادك على هذه السخرية المتطاولة :
أيها المجنون الخبيث الشقى ! لقد عاونتنى لأصل إلى المجد
وأنت تأمل فى قرارة نفسك أن تحكم روما وأن تحكمنى معها .

(يدخل إيميليوس) .

إيميليوس : إلى السلاح أيها السادة ؛ فما كانت روما أحوج إليه مما هى الآن !
لقد جند القوط جيشاً مسلحاً
من جنود أشداء ، عازمين على الغزو والنهب
وهم زاحفون نحونا بقيادة
لوكيوس ، ابن أندرونيكوس الشيخ ؛
وهو يرعد منذراً بأنه سيأتى فى انتقامه
بأبشع ما انتقم به كوريولانوس[١] نفسه

ساترنينوس : لوكيوس المغوار ، يقود القوط ؟ !

---

(١) Coriolanus قائد رومانى من القرن الخامس قبل الميلاد .

أنباء ، يجمد الدم فى عروقى من هولها ؛ فيتدلى رأسى
كالزهور يثقلها الصقيع ، أو العشب اقتلعته الريح وألقت به العواصف .
نعم قد حان دورنا لنأخذ نصيبنا من الأحزان !
إنه هو الذى يحبه الشعب حباً جماً .
ولكم سمعتم بأذنى ،وأنا متنكر فى زى الرجل العادى ،
يقولون ، إن الحكم بنفى لوكيوس كان حكماً ظالماً .
وهم يتمنون أن يكون لوكيوس إمبراطورهم .

تامورا : لماذا تخاف ؟ أوَ ليست مدينتك منيعة !

ساترنينوس : نعم ، ولكن المواطنين يفضلون لوكيوس
وسيخرجون علىَّ ويعصوننى ليساعدوه هو .

تامورا : أيها الملك ، لتكن أفكارك عظيمة تليق بعظمة لقبك .
أيحجب ضوء الشمس أن تطير الحشرات فى شعاعها ؟
إن النسر ليحتمل من الطيور الصغيرة أن تغنى
دون أن يهمه ما تريد بغنائها .
لأنه موقن أن ظلا من جناحيه ،

يستطيع أن يخرس أنغامها متى شاء أن يخرسها .
وهذا شأنك أنت مع الحمقى من الرومان ،
فطمئن إذن نفسك ، واعلم أيها الإمبراطور
أنى سأسحر أندرونيكوس الشيخ
بكلمات أكثر حلاوة وأشد خطراً
من الطعم على الأسماك و« البريسم » على قطيع الغنم ،
فتجرح الأولى من شص الطعم
وتمرض الأخرى من المرعى الشهى .

ساترنين : أو تظنه يشفع لنا عند ولده

تامورا : إذا توسلت إليه تامورا ، فعل .
فإنني أستطيع أن أستميل أذنه الواهية ، وأن أملأها
بمعسول الوعود ، بحيث لو كان قلبه
لا يخضع . وأذنه الواهنة لا تسمع ،
فإن أذنه وقلبه ، كليهما سيصبحان طوع أمرى .
(إلى إيميليوس) تقدم وكن سفيرنا !
انقل إليهم أن الإمبراطور يطلب مقابلة
لوكيوس المغوار ، وعين مكان اللقاء

ولنلتق ، إذا لم يكن من الأمر بد ، فى بيت أبيه
أندرونيكوس الشيخ .

ساترنينوس : أدِّ يا إيميليوس ، هذه الرسالة فى شرف ،
فإذا ما اشترط عليك رهائن لضمان سلامته ،
فسأله أن يطلب الضمان الذى يريد .

إيميليوس : سأقوم بما كلفتنى به خير قيام .

تامورا : والآن أمضى إلى ذلك الشيخ أندرونيكوس
أعالجه بكل ما لدى من فن ؛
حتى أقتطع لوكيوس الجبار من زعامة القوط المحاربين .
والآن ، يا حبيبى الإمبراطور ، استعد بشرك كما كنت ،
وادفن مخاوفك جميعها فيما دبرت من خطط .

ساترنينوس : اذهبى إذن ، عسى أن تنجحى فى استمالته . .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الأول

سهول قرب روما — يدخل لوكيوس على رأس جيش من القوط معهم طبول وأعلام

لوكيوس : أيها المحاربون المحنكون ، أصدقائى الأعزاء ،
وصلتنى من أهل روما المجيدة رسالة ؛
تكشف عن الكره الذى يكنونه لإمبراطورهم ،
والشوق الشديد الذى يشتاقونه لرؤيتنا .
فيا أيها العظماء ، كونوا أكفاءً لألقابكم الجليلة :
أعزاء لا تصبرون على الضيم ،
وإذا كانت روما أوقعت بكم الضر
فاجعلوها تغرم الغرم مضاعفاً .

القوطى الأول : أيها الفرع الشجاع النابت من دوحة أندرونيكوس العظيم ،
هذا الذى كان اسمه يبعث فينا الرعب فأصبح الآن
ينشر بيننا الأسى .
إن كل ما قدمه من مآثر رفيعة ، وفعال مجيدة ،

قد جزته عليها روما الجاحدة احتقاراً مشيناً ظالماً .
استمد إذن شجاعتك منا فسنتبعك إلى حيث تقود ،
كسرب من النحل اللاذع ، فى قيظ يوم صائف
حار ،
وقد أطلقه صاحبه على الحقول المزهرة ؛
حتى تنتقم لنفسك من تامورا اللعينة .

القوط : إننا نؤيده جميعاً فى كل ما قال .

لوكيوس : وأنا بكل تواضع أشكره ، وأشكركم جميعاً .
ولكن من القادم علينا يقوده قوطى شديد ؟

القوطى الثانى : لوكيوس الممجد ، لقد تخلفت عن عساكرنا ،
لأمعن النظر فى دير[1] خرب .
وبينما كنت أطيل النظر باهتمام ،
فى البناء الدارس ، سمعت فجأة
صرخة طفل تحت الجدار ،
فتوجهت ناحية الصوت وسرعان ما سمعت ،
صوتاً يناغى الطفل الباكى بهذا الكلام :
« اهدأ ، أيها الأسمر الصغير ، فلى فيك النصف ،

---

(١) دير : الخطأ التاريخى واضح فى استعمال كلمة « الدير » .

ولأملك النصف ،
ولو أن لونك لم يفضح حقيقة من تنتسب إليه :
أى لو أن الطبيعة اقتصرت على أن أورثتك ملامح
أملك ،
لأمكنك يالعين أن تصبح إمبراطوراً .
فإذا كان الثور والبقرة كلاهما فى بياض اللبن ،
فمن المستحيل أن يلدا عجلا فى سواد الفحم .
اسكت يا لعين . . اسكت . . » هكذا كان يسخط
على الطفل .
ويقول « سأحملك إلى قوطى أثق به ،
ومتى عرف أنك ابن الإمبراطورة
أعزك وأحسن ، من أجل أملك ، رعايتك » .
عندئذ سللت سلاحى وهجمت عليه .
فأخذته على حين غرة وأحضرته إلى هنا .
لترى فى الرجل رأيك .

لوكيوس : أيها القوطى المجيد ، هذا هو الشيطان المجسد ،
إنه هو الذى سلب أندرونيكوس يده الطاهرة ،
إنه هو قرة عينى إمبراطورتك ،
وهذا الطفل هو ثمرة شهوتها المتأججة .

قل لى ، أيها العبد الزائع العين [١] ، أين كنت تريد أن تحمل
هذه الصورة المصغرة من وجهك الشيطان ؟
لم لاتتكلم ؟ ماذا ؟ هل أصابك صمم ؟ ألاتتكلم ؟
أيها الجند ، على بحبل ، وعلقوه على هذه الشجرة ،
وإلى جانبه ثمرة ما زنى .

: إنه ليشبه أباه شبها لا يمكن أن ينبئ بخير .
اشنقوا الطفل أولا ، حتى يراه وهو يعانى سكرات الموت ،
فهذا منظر يصيب قلب الأب فى الصميم .
على بسلم !

(يحضرون السلم ويجبرون هارون على صعوده)

هارون : أنقذ الطفل ، يا لوكيوس ،
واحمله عنى إلى الإمبراطورة ،
إنك إن فعلت ، أطلعتك على أمور غريبة ،
تنفعك أخبارها نفعاً عظيماً .
فإذا لم تفعل ، فليكن ما يكون !

---

(١) Walleyed : زيادة فى بياض العين تصيب الخيل من مرض .

إنى لن أقول شيئاً إلا قولتى « ألا فلينزل الانتقام بكم جميعاً » .

لوكيوس : تكلم ، فإن سرّنى ما تقول
عاش ابنك ؛ وأخذت على عاتقى أن أرعاه .

هارون : إذا سرك؟! إنى أؤكد لك يا لوكيوس ،
أن ما سأقوله سيؤلم قلبك .
ذلك أنى سأتكلم عن القتل والاغتصاب والمجازر ،
فعال سود فى سواد الليل وآثام شنيعة ،
ومؤامرات للشر وللخيانة وللمنكر ،
أخبارها تفجع السمع ، وارتكابها يثير الشفقة على ضحاياها ،
غير أن هذا كله سينطوى خبره بموتى ،
إلا إذا تعهدت لى بأن طفلى سيعيش .

لوكيوس : هات ما عندك ، لقد قلتُ ، إن طفلك سيعيش

هارون : فلتقسم على هذا ، فإذا أقسمت بدأت .

لوكيوس : وبمن تريدنى أن أقسم وأنت لا تؤمن بإله ؟
فإذا سلمت بأنك لا تؤمن بإله فكيف تؤمن بقداسة قسم .

هارون : وماذا لو أننى لاأومن بشىء ! إننى حقًّا لا أومن ،

ولكننى أعلم أنك ديّن
وأن فى قلبك شيئاً اسمه الضمير
وغير ذلك من عشرات الخرافات والعبادات .
التى رأيتك تقوم بفروضها فى دقة ،
ولهذا ألح عليك فى أن تقسم ، (منفرداً) ذلك أنى واثق
من أن الأحمق قد يتخذ من عصاه التى يلهو بها رباً
ثم يرعى يميناً يقسم فيها بربه هذا ،
لذلك سأرغمه على أن يقسم ، (بصوت عال)
لا بد من أن تقسم
بإلهك ، أيًّا كان هذا الإله
الذى تعبده وتقدسه ،
على أنك ستحمى طفلى وترعاه وتنشئه
وإلا ما أطلعتك على شيء .
لوكيوس : أقسم بالإله الذى أعبد ، أن سأفعل .
هارون : إذن ، اعلم أولا ، أننى قد أولدت الإمبراطورة إياه.
لوكيوس : يا للمرأة التى لا تشبع لها شهوة .
هارون : صه ، إن هذا عمل من أعمال البر يا لوكيوس
إذا قورن بما ستسمعه الآن منى .

إن ولديها هما اللذان قتلا باسيانوس
وهما اللذان قطعا لسان أختك، وهما اللذان اعتديا عليها ،
ثم بترا يديها وشذباها[1] كما رأيت .
لوكيوس : أيها الشرير البغيض ، أو تسمى هذا تشذيباً ؟
هارون : لم لا ، لقد غسلت وقطعت ثم شذبت ،
وكان هذا لهواً ممتعاً لمن قاما به .
لوكيوس : إنهما وغدان ، همجيان، بل وحشان ضاريان مثلك .
هارون : هذا صحيح ، فلقد كنت مرشدهما الذي علمهما هذا ،
غير أن ما في نفوسهما من الفجور هو مما ورثاه عن أمهما ،
تلك الأم التي تربح دائماً كما تربح الورقة المعروفة في لعبة الورق ؛
أما الأفكار الدامية الوحشية ، فلقد تعلموها عني أنا فيما أظن ،
فأنا كلب شجاع ثابت مقدام كالكلب الذي ينازل الثور .
وها كم أعمالي فلتشهد هي على علو كعبي .
إني أنا الذي استدرج أخويك حتى الحفرة الخادعة
حيث كانت جثة باسيانوس الميت راقدة .

(١) يشير بيلدون إلى الكلمة « شذباها» معنى خفياً قبيحاً .

وأنا الذى كتبت الرسالة التى وجدها أبوك ،
وأنا الذى أخفى الذهب الذى جاء ذكره فى الرسالة ،
متآمراً فى هذا كله مع الملكة وولديها .
نعم ؛ فهل حدث شىءٌ يفجر حسراتك
إلا وفيه من شرى أثر ؟ !
غررت بأبيك حتى سلبته يده ،
فلما أخذتها منه انتحيت جانباً
وكاد قلبى يتصدع من فرط الضحك على غفلته .
ثم تلصصت عليه من فتحة فى الحائط ،
لأراه حين تسلم رأسى ولديه فى مقابل يده ،
ولما شاهدت دموعه ، ضحكت من كل قلبى
حتى جرى الدمع من عينى كلتيهما ، كما جرى
من عينه .
ولما قصصت على الإمبراطورة خبر ما لهوت به ،
كاد يغشى عليها من الضحك على قصتى ،
ومنحتنى على هذه الأخبار عشرين من القبل

القوطى الأول : ما هذا ، أتقول هذا كله دون أن تخجل ؟ !

هارون : بلى إنى لأخجل ، ولكن كما يخجل الشيطان

أو الكلب الأسود (١) فيما يقولون .

لوكيوس : أولا تندم على هذه الآثام الشنيعة ؟

هارون : نعم أندم ، لأننى لم آت ألفاً غيرها من الآثام (٢).
بل إنى لألعن الأيام ، وإن تكن
قليلة تلك التى تحل بها لعنتى ،
والتى مرت دون أن أرتكب فيها شراً منكراً .
كأن أقتل رجلا ، أو أدبر له مقتله ،
أو أغتصب فتاة أو أرسم الخطة لاغتصابها ،
أو أن أتهم بريئاً أو أقسم زوراً على براءتى ،
أو أن أثير عداوة مميتة بين صديقين ،
أو أجعل أغنام الفقراء تلقى بنفسها إلى التهلكة
أو أشعل النار بالليل فى الأجران وأعواد الحطب
ثم أدعو أصحابها ليطفئوها بدموعهم .
كم نبشت القبور على الموتى ،
ونصبت أجسادهم على أبواب الأعزاء من أصدقائهم :

---

(١) يقول المثل : to blush like a black dog والكلب الأسود صورة يتقمصها الشيطان .

(٢) فى هذا الجزء ينزل هارون إلى مرتبة الشرير المسرحى العادى كما نجده عند «مارلو» وخاصة فى « يهودى مالطة » (بيلدون)

بعد أن كادوا ينسون أحزانهم ،
وقد جئت إلى جلودهم الناشفة وكأنها لحاء الشجر ،
فحفرت عليها بسكينى حروفاً كبيرة تقول :
« إن كنت مت ، فلا تتركوا حزنكم على يموت » .
أف ! كم ارتكبت آلاف الفظائع والكبائر ،
وأنا مطمئن راض هادئ وكأنما أقتل ذبابة .
وكل ما يحزننى حزناً حقيقياً الآن
أننى لم أعد أستطيع ارتكاب عشرات الآلاف غيرها .

لوكيوس : أنزلوا هذا الشيطان إنه يجب ألا يموت ،
هذه الميتة العذبة ، التى يشنق فيها ليموت مرة واحدة .

هارون : يا ليتنى كنت شيطانا ، إذا كان حقاً هناك شياطين ،
لأعيش وأحترق خالداً فى النار ،
حتى ألقاك يوماً فى الجحيم ،
لا لشىء ، إلا لأعذبك بلسانى المر .

لوكيوس : أيها السادة ، أخرسوه لا تدعوه يتكلم بعد هذا .

(يدخل قوطى)

القوطى : مولاى ، رسول من روما ،
يطلب الإذن بالمثول فى حضرتك

لوكيوس : دعه يدنُ منا . (يدخل إيميليوس)

إيميليوس ! مرحباً ! ما أخبار روما .

إيميليوس : مولاى لوكيوس ، ويا أمراء القوط ،
إن الإمبراطور الرومانى يحييكم جميعاً بلسانى ،
ولما فهم أنكم تتهيأون للحرب .
طلب الاجتماع بكم فى بيت أبيك
وهو مستعد لأن تطالبوه بأية ضمانات .
ليقدمها لكم مباشرة .

القوطى الأول : ماذا يرى قائدنا

لوكيوس : فليقدم الإمبراطور يا إيميليوس ما تعهد به
لأبى وعمى ماركوس .
فلسوف نأتى إليكم . إلى الأمام .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الثانى

أمام منزل تيتوس – تدخل تامورا وشيرون متنكرين

تامورا : هكذا إذن ، وفى ثياب كئيبة غريبة [١] ،
ألقى أندرونيكوس ،
لأفهمه أننى إلهة الانتقام ، قد جئته من العالم السفلى
لأتحالف معه ونثأر معاً لمصائبه الفظيعة .
فلأقرعن عليه باب مكتبه ، حيث يقولون إنه اعتكف ،
يقلب الفكر بين خطط غريبة لانتقام رهيب .
سأقول له ، إن آلهة الانتقام جاءت لتتحالف معه .
ولتنزل الخراب بأعدائه .

(يطرق الباب)

(يظهر تيتوس مطلا من أعلى)

تيتوس : منذا الذى يعكر على صفو تأملاتى ؟

---

(١) يعلق بيلدون على هذا الجزء قائلا إن الحيلة التى لجأت إليها تامورا لا تتفق وذكاءها الراجح فمن غير المتوقع أن تتوهم أن تخدع تيتوس بمثل هذه الحيلة .

أهذه حيلتكم لأفتح لكم الباب ؟
فتطير من رأسى كل قراراتى الخطيرة
ويصبح جهدى كله بلا جدوى ؟
إنكم مخدوعون ، مما انتويت فعله ،
قد كتبته هنا ، انظروا إليه فى أسطره الدامية ،
ولا بد أن أنفذ كل ما كتبت .

تامورا : تيتوس إنى جئت لأتحدث إليك .

تيتوس : لا ، ولا كلمة . فأنى لى أن أزين كلامى وأقويه
وليست لى يد أشير بها فأقنع أو آمر بالتنفيذ .
إنك فى هذا تفوقيننى . فإليك عنى .

تامورا : لو عرفتنى لرغبت فى التحدث إلى .

تيتوس : إننى أعرفك كل المعرفة ، فلست مجنونا ،
ألا فلتشهد الذراع البتراء البائسة وهذه الخطوط الدامية .
وهذه التجاعيد التى خطها الحزن والهم ،
بل فليشهد النهار الشاق والليل الثقيل ،
وليشهد كل ما أنا فيه من حزن ، على أنى أعرفك كل المعرفة .
فأنت إمبراطورتنا المتغطرسة ، تامورا العاتية ،

أو لم تأت فى طلب يدى الأخرى ؟

تامورا : اعلم أيها البائس الحزين أنى لست تامورا ،
إنها هى عدوتك أما أنا فصديقتك ،
إننى إلهة الانتقام أرسلت إليك من ملكوت الجحيم ،
لتهدئ النسر الضارى الذى ينهش فؤادك[1] ،
بأن تنزل الانتقام الشديد بأعدائك .
انزل ورحب بنور هذه الدنيا ،
وشاورنى فى القتل والموت ،
فما من كهف سحيق . أو مكان خفى ،
وما من مهمه واسع أو واد بهيم ،
يستطيع القاتل السفاك أو المغتصب البغيض ،
أن يأوى إليه من الخوف ، إلا استطعت أن اكتشف
مكانه
ثم ألقى فى أذنه باسمى الرهيب :
« الانتقام » فيرتجف كل مجرم زنيم .

تيتوس : أأنت إلهة الانتقام . أرسلت إلى
لتكونى عذاباً مسلطاً على أعدائى ؟

---

(١) يبدو أن الصورة مستعارة من قصة بروميثيوس .

تامورا : نعم ، أنا هى ، فأنزل إلىّ ورحب بى .

تيتوس : أو تسدين إلى معروفاً قبل أن أنزل إليك ؟
هنا على جانبك يقف القاتل والغاصب ،
فاثبتى لى أنك إلهة الانتقام حقـًّا ،
بأن تطعنيهما أو تقطعى جسديهما بعجلات عربتك .
وسأهبط بعد ذاك إليك فأقود لك العربة ،
وأنطلق معك بها ، ندور حول العالم ،
مُمدينا بجوادين كريمين فى سواد الفحم ،
لينطلقا خفيفين بعربتك المنتقمة ،
ليلحقا بالقتلة فى كهوفهم المريبة الأثيمة ،
حتى إذا ما أثقلت عربتك برءوسهم
هبطت منها ، وتقدمت عجلاتها ،
أجرى طوال النهار بين يديك وكأنى[1] السائس الخاضع .
وأصاحبك من مطلع إله الشمس[2] فى المشرق ،
حتى مهبطه فى البحر ،

---

(١) كان للأثرياء فى أيام شكسبير سواس يعدون أمام عرباتهم ويفسحون لها الطريق.

(٢) هيبريون هو إله الشمس ، وهو أقدم من أبللو . استعمال هذا الاسم للشمس يدل كما يرى « بيلدون » على معرفة بالأساطير الإغريقية إلى جانب الأساطير الرومانية .

وسأظل أقوم بهذا العمل الشاق يوماً بعد يوم ،
على شرط أن تقتلى فى الحال ، هذين : القاتل
والغاصب

تامورا : إنهما رسولاى جاءا معى ،

تيتوس : أحق أنهما رسولاك ؟ وما اسماهما ؟

تامورا : القاتل ، والغاصب ، سميا كذلك
لأنهما يوقعان الانتقام بهذا الصنف من الآثمين .

تيتوس : يا إلهى ، لكم يشبهان ولدى الإمبراطورة
ولكم تشبهين أنت الإمبراطورة نفسها . لكننا نحن
أهل هذه الأرض
عيوننا بائسة ، مجنونة . تضللنا
يا إلهة الانتقام العذب ، سأهبط إليك حالا ،
فإذا أرضاك أن تحتضنك ذراع واحدة ،
فسأضمك بها سريعاً .

(يختفى من أعلى)

تامورا : لقد وصلنا معه إلى اتفاق يلائم جنونه .
وكل ما سأختلق لأغذى به هوى عقله المريض
فعليكم — مهما يكن ما أختلق — أن تؤمنوا عليه
وتؤيدوه بأقوالكم .

إنه يؤمن الآن إيماناً جازماً أننى إلهة الانتقام .
ولما كان من السهل إقناعه فى خبله
فسأقنعه بأن يرسل فى طلب ابنه لوكيوس .
و بينما أكون قد ملكت قياده أثناء المأدبة ،
فسأهتدى بداهة إلى حيلة ماكرة ،
تفرق القوط الحمقى وتشتت شملهم ،
أو تقلبهم — على الأقل — إلى أعداء له .
انظروا ، ها هو ذا قادم . وسأواصل دورى

(يدخل تيتوس)

تيتوس : لكم شقيت فى انتظارك ،
فمرحباً بك فى بيتى الكئيب أيتها الإلهة المنتقمة المهيبة ،
ومرحباً بكما أيضاً ، أيها القاتل والغاصب .
لكم تشبهون الإمبراطورة و ولديها ،
وكم يكتمل عقدكم لو كان معكم عبد أسود .
ألم يستطع الجحيم كله أن يمدكم بشيطان مثله ،
فإنى لأعرف جيداً ، أن الإمبراطورة لا تكاد تخطو
خطوة (١)

---

(١) Wags : تخطو خطوة من معانيها تلعب بذيلها . والمقصود التلميح إلى سيرة تامورا الآثمة .

إلا وفى صحبتها عبد أسود ،
لكان الأجدر بكم أن تصحبوا معكم شيطاناً كهذا .
ولكن ما لنا ولهذا ، مرحباً بكم على أية حال؟ والآن
ماذا نفعل ؟

تامورا : وماذا تريدنا أنت أن نفعل يا أندرونيكوس ؟

ديمتريوس : أرنى قاتلا فأتكفل لك به .

شيرون : ودلنى على وغد مغتصب ،
فأنا مرسل للانتقام لك منه

تامورا : أرشدنى إلى من أساءوا إليك ، فلو كانوا ألفاً ،
لانتقمت لك منهم جميعاً .

تيتوس : هيا ، فلتبحثوا فى شوارع روما المملوءة بالإثم .
فإذا وجدت أيها القاتل الكريم رجلا يشبهك كل الشبه
فاطعنه لأنه قاتل .
ولتذهب أنت معه أيها الغاصب الكريم ،
فإذا حدث أنك وجدت آخر يشبهك أنت
فأطعنه لأنه مغتصب
وأنت ، اذهبى معهما ، إلى بلاط الإمبراطور ،
فهناك ملكة يقوم على خدمتها عبد أسود .

إنه لمن السهل عليك أن تعرفها لأن صفاتها هي صفاتك ،
فهي تشبهك كل الشبه من قمة الرأس إلى أخمص القدم .
وإنى لأضرع إليكم ، أن تذيقوهم جميعاً الموت القاسى ،
فلقد كانوا قساة على وعلى أهلى

تامورا : لقد أحسنت فيما بينت لنا من أوامرك وسنفعل كما قلت
ولكن يا أندرونيكوس الطيب ، أتسمح
بأن ترسل فى طلب لوكيوس ، ابنك الهمام الشجاع
الذى يقود صوب روما جيشاً من القوط المحاربين ،
وتسأله أن يحضر وليمة فى منزلك .
فإذا ما جاء ، وفى إبان احتفالك الوقور ،
فسآتى بالإمبراطورة وبابنيها ،
بل بالإمبراطور نفسه ، وبجميع أعدائك ،
ليضرعوا إليك ، ويركعوا طالبين رحمتك ،
فتشفى صدرك الموغور منهم .
ما رأيك فى هذه الحيلة يا أندرونيكوس ؟

تيتوس : ماركوس ، أخى إنه تيتوس الحزين يناديك

(يدخل ماركوس)

ماركوس أيها العزيز ، اذهب إلى ابن أخيك لوكيوس ،
فسأل عنه بين القوط ،
واطلب إليه أن يرجع إلى وأن يصحب معه
نفراً من كبار أمراء القوط .
وسله أن يدع جنوده معسكرة حيث هى الآن ،
قل له إن الإمبراطور ، والإمبراطورة
سيحضران إلى حفل فى بيتى ، وعليه أن يحضر معهما الحفل .
افعل ذلك إن كنت تحبنى ، ودعه هو الآخر يفعل ،
إن كان يرعى حياة أبيه الشيخ .

ماركوس : سأفعل وأعود سريعاً (يخرج)

تامورا : أما أنا فسأتوجه لتدبير أمرك
وسآخذ رسولى معى

تيتوس : لا ، لا ، دعى الغاصب والقاتل معى ،
وإلا دعوت أخى ليرجع
واعتمدت على لوكيوس وحده فى الانتقام .

تامورا (لوليها على انفراد) : ما رأيكما يا بنىّ ، أتظلان معه ،
حتى أذهب فأقص على الإمبراطور

كيف أحكمت تنفيذ ما دبرنا من حيلة ؟
سايراه على جنونه و لايناه ، وتحدثا بلطف إليه ،
وامكثا معه حتى أعود .

تيتوس (على انفراد) : إنى أعرفهم جميعاً ، وإن حسبونى مجنوناً ،
وسأغلبهم على أمرهم بنفس حيلهم .
إنهم لزوج لعين من كلاب الجحيم ومعهم أمهم !!

ديمتريوس : انصرفى ، إن شئت يا سيدتى واتركينا .

تامورا : إذن وداعا يا أندرونيكوس ، فستمضى إلهة الانتقام الآن ،
لتضع الخطة التى تفضح بها أعداءك .

تيتوس : إنى على يقين أنك ستفعلين . فوداعاً يا « انتقامى» الحبيب .
(تخرج تامورا)

شيرون : قل لنا أيها السيد الشيخ ، ماذا تريدنا أن نفعل .

تيتوس : هيه . عندى من العمل ما يكفيكما !
ببليوس ، تعال هنا . كايوس . وأنت يا فالنتين
(يدخل ببليوس وآخرون)

ببليوس : أمرك ؟ !

تيتوس : أتعرفون من هذان ؟

ببليوس : ولدا الإمبراطورة

فيما أعتقد ، شيرون وديمتريوس .

تيتوس : ويحك يا ببليوس ويحك ، إنك لمخدوع إلى أبعد حد :
إن أحدهما هو « القاتل » واسم الآخر « الغاصب » .
قيدهما إذن يا ببليوس الطيب ،
وأنت يا كايوس ويا فالنتين ، ألقيا القبض عليهما .
أولم تسمعانى كثيرًا أتمنى مجىء مثل هذه الساعة ،
وها هى ذى تسنح لى ، قيدوهما إذن قيدًا وثيقًا ،
واكتما أنفاسهما إذا حاولا الصراخ .

(يخرج — ويلقى ببليوس معه القبض على شيرون وديمتريوس)

شيرون : كفوا أيها الأوغاد ، إننا ولدا الإمبراطورة

ببليوس : نحن لهذا ننفذ ما أمرنا به .
أحكموا كتم أنفاسهما ولا تدعوهما ينطقان حرفا ؛
أو أحكمتم وثاقهما ؟ أسرعوا بتقييدهما .

(يدخل تيتوس ومعه لافينيا وقد حملت طستاً صغيراً فى حين حمل هو سكيناً)

تيتوس : تعالى يا لافينيا ، تعالى ، انظرى عدويك مقيدين
اكتموا أيها السادة أنفاسهما ولا تدعوهما يكلمانى ،
ولكن أتيحا لهما أن يسمعا ما سأقول من قول مروع .
أيها الوغدان ، شيرون وديمتريوس ،
هنا ، أمامكما النبع الذى لوثتماه بالوحل ،

والصيف الجميل الذى أزلتما به قرّ شتائكما البائس.
لقد قتلتما زوجها ، وكانت هذه الجريمة البشعة
سببًا فى أن يحكم على اثنين من إخوتها بالموت .
ويدى هذه بترت ، وجعلتما من بترها هذا ملحة
فكهة ،
ويداها الجميلتان ، ولسانها ، وما هو أعز
وأغلى من الأيدى ومن اللسان ، عفافها الطاهر ،
انتهكتماه واغتصبتماه ، أيها الخائنان المتوحشان .
ماذا عسى أن تقولا لو سمحت لكما بالكلام ؟ !
لن تستطيعا من فرط عاركما ، أيها الشريران أن تطلبا
الرحمة
أنصتا يا أيها اللعينان ! لو تعلمان كيف سأمثل
بكما
إن يدى هذه الواحدة قد بقيت لى لتقطع رقابكما ،
وستمسك لافينيا بذراعيها المبتورتين
طستاً تجمع فيه دمكما الأثيم .
إنكما تعلمان أن أمكما ستحضر وليمة فى بيتى ،
وأنها تدعو نفسها إلهة الانتقام ، وأنها تحسبنى
مجنونًا ؛

اسمعا إذن أيها الشريران! سأدق عظامكما دقًّا حتى تصبح دقيقًا ،
ومن الدقيق ومن دمكما سأعجن عجينًا ،
وأتخذ من العجين غطاء للكعك ؛
ليزين الكعكتين اللتين سأصنعهما من رأسيكما الدنيئين .
عندئذ سأدعو تلكما الفاجرة ، أمكما النجسة ،
لتلتهم في جوفها ، كالأرض ، ما أخرجته .
فهذا هو الحفل الذى دعوتها إليه ؛
وتلكما هى المأدبة التى ستأكل منها حتى تعتريها التخمة .
لقد أسأتما إلى ابنتى بشر مما أسىء به إلى «فيلوميل»(١)
وسأنتقم لها انتقامًا شرًّا من انتقام « بروجنى » .
هلم الآن هات رقبتيهما وتعالى يا لافينيا
(يقطع رقبتيهما)
لتتلقى الدم ، وعندما يموتان
دعينى أدق عظامهما حتى تصبح دقيقاً ناعماً ،

---

(١) فيلوميل و بروجنى . انظر الهامش على البيت ٤٦ من المنظر الثالث فى الفصل الثانى .

ثم أخلطه بهذا الشراب الكريه ،
وأنضج رأسيهما الشقيين وأغطيهما بهذا العجين .
هيا ، هيا ، وليجتهد كل منكم
فى أن يجعل هذه الوليمة كما أريدها أن تكون ،
فى الصرامة والدماء ، أوفر نصيبًا من وليمة السنطور [1]
والآن ، أدخلوهما ، فسأقوم بدور الطباخ
وأعدهما حتى تأتى أمهما .

(يخرجون وهم يحملون الجثث)

---

(١) وليمة السنطور – كانت عقب حرب أهل السنطور ولا يبنى لزواج « بيروثوس » من « هيبوداميه » . انظر شعر أوفيد Ovid فى قصيدته Metamorphoses وهى خمسة عشر كتاباً . الكتاب الثانى عشر ، البيت ٢١٠ وما بعده .

الفصل الخامس
المنظر الثالث

فناء منزل تيتوس ، وقد مدت فيه المائدة — يدخل لوكيوس وماركوس وجماعة من القوط ومعهم هارون أسيراً .

لوكيوس : عمى العزيز ، ما دام أبى يرى
أن أعود إلى روما فأنا أقبل العودة .
القوطى الأول : وليست إرادتنا إلا ما أردتم ، ولتجر المقادير بما تشاء .
لوكيوس : عمى العزيز ، خذ معك هذا العبد الأسود المتوحش ،
هذا النمر المفترس والشيطان اللعين ،
ولا تدعه يذوق طعامًا ، بل قيده
حتى نواجه به الإمبراطورة ؛
ليشهد على فعالها الدنيئة .
واحرص على أن يكون كمين جيشنا الصديق حصينًا .
فأنا أخشى ألا يضمر لنا الإمبراطور خيراً .
هارون : هناك شيطان يهمس باللعنات فى أذنى ،
ويستحثنى على أن أجرى على لسانى
السم الزعاف ، الذى يفيض به قلبى الثائر .
لوكيوس : اغرب عن وجهى أيها الكلب المتوحش ، أيها العبد

النجس ،
ساعدوا عمى ، أيها السادة ، على أن يجره إلى سجنه .

(يخرج القوط ومعهم هارون — ثم تدق طبول)

وهذه طبول تدل على أن الإمبراطور قريب .

(يدخل ساترنينوس وتامورا ومعهما أيميليوس وجماعة من الشيوخ والزعماء وغيرهم)

ساترنينوس : هناك فى الفلك إذن أكثر من شمس واحدة .
لوكيوس : وماذا يفيدك أن تسمى نفسك شمساً ؟
ماركوس : يا إمبراطور روما ، وأنت يا بن أخى ، فضوا هذا الجدل .
فلا بد من أن تناقش مثل هذه الخلافات فى هدوء .
وهاكم تيتوس اللبق قد أعدّ لكما حفلا ،
أقامه تحقيقاً لغاية نبيلة ،
وحرصاً على السلام والمحبة والوئام ؛ وعلى صالح روما
هلم إذن لو سمحتم ، تقدموا وخذوا أماكنكم .
ساترنينوس : سنفعل يا ماركوس

(صوت أبواق — يدخل تيتوس وقد ارتدى ملابس طباخ ، وفى صحبته لافينيا وعلى وجهها قناع ومعها لوكيوس الصغير وآخرون ، يضع تيتوس الصحون على المائدة)

تيتوس : مرحباً مولاى العظيم ، ومولاتى المهيبة ،
مرحباً بالقوط المغاوير ، مرحباً يا لوكيوس ،

مرحبًا بكم جميعًا . أن يكون الزاد قليلا
فإنه سيكفى بطونكم ؛ تفضلوا فكلوا منه .

ساترنينوس : لم ترتدى هذه الملابس يا أندرونيكوس ؟

تيتوس : حرصًا منى على أن يكون كل شىء معدًّا كما يجب ؛
ليليق بالاحتفال بجلالتكم و بجلالتها .

تامورا : إننا نقدر لك هذا يا أندرونيكوس الطيب ،

تيتوس : وسيزيد تقديرك يا مولاتى ، إذا عرفت ما فى نفسى .
أفتنى فى هذا الأمر يا مولاى الإمبراطور ؟
هل أحسن فرجينيوس[1] المتهور صُنعاً
عندما ذبح ابنته بيمينه ،
لأنها اغتصبت ودنست وانتهك عرضها .

ساترنينوس : نعم لقد أحسن يا أندرونيكوس !

تيتوس : وما سبب حكمك هذا يا مولاى العظيم ؟

ساترنينوس : السبب أنه يجب ألا تعيش الفتاة بعد فضيحتها ،
فسيظل مرآها يجدد الأحزان فى نفس أبيها .

تيتوس : إنه لسبب وجيه ، قوى ، مقنع !

---

(١) يروى أن فرجينيوس قتل ابنته مخافة أن ينتهك عرضها . أما تيتوس فقد انتهك عرض ابنته لافينيا فعلا . واختلاف الحالين يجعل المقارنة صعبة ، مما دعا إلى كثير من الجدل بين الشراح .

إنه لقياس يقاس عليه ؛ وسابقة تحتذى ؛ ومثال يجب أن يتبع .
وعلىّ أنا ، أنا الشقى ، أن أحتذى المثل وأنفذه .
لافينيا ، موتى ، موتى ، ليموت عارك معك ،
ومع عارك فليمت حزن أبيك .
(يقتل لافينيا)

ساترنينوس : أيها المتوحش الشاذ ، ماذا أتيت ؟ !

تيتوس : قتلتها ، قتلت من أعمانى الدمع الذى ذرفته بسببها ،
إننى شقى ، أشقى من فرجينيوس [1] ؛
ولدى من المبررات أكثر مما له ألف مرة ،
وكلها تدفعنى لارتكاب هذا الشر الفظيع ، وقد تم الآن ونفذ .

ساترنينوس : ماذا ؟ أوَ قد اغتصبت ؟ نبئنا من فعل هذا ؟

تيتوس : تكرم بالأكل ! ثم فلتتكرم جلالتها بتناول الطعام .

تامورا : لم قتلت ابنتك ؟

تيتوس : أنا ؟ إنى لم أقتلها بل قتلها شيرون وديمتريوس .
إنهما هما اللذان اغتصباها وقطعا لسانها ،
وهما اللذان فعلا بها كل هذا الشر .

---

(١) راجع الهامش السابق .

ساترنينوس : اذهب فأحضرهما إلينا حالا .

تيتوس : ولم ، إنهما هنا ، عجينًا فى هذه الفطيرة ،
وقد أكلت أمهما منهما فى رشاقة ؛
لقد أكلت من اللحم الذى عُنيت بتربيته .
هذه حقيقة ، حقيقة ، ولتشهد حدة سكينى على هذا .

(يقتل تامورا)

ساترنينوس : أيها الشقى المجنون ، مُت جزاء هذه الفعلة الشنعاء

(يقتل تيتوس)

لوكيوس : أو تطيق عينا الابن أن تريا دم أبيه يراق ؟
كيل ، بكيل ، والقتل للقاتل .

(يقتل ساترنينوس، ضجة كبيرة . يتفرق القوم من اضطرابهم ثم يصعد ماركوس ولوكيوس وأشياعهم إلى الشرفة)

ماركوس : أيها القوم ذوو الوجوه الجادة العابسة، يا أهل روما وأبناءها ،
إن هذه الضجة قد فرقتكم ، وكأنكم سرب من القطا
شتتته الرياح والأعاصير الهوج العاتية .
اسمحوا لى ، أن أعلمكم كيف تجمعون من جديد ،
هذه الحبات المتناثرة فى سنبلة واحدة جامعة ؛
وهذه الأطراف المبتورة فى جسد واحد من جديد ؛

وإلا كانت روما وبالاً على نفسها .
فبعد أن كانت تدين لها الممالك القوية ،
ستصبح كالمنبوذ الشقى البائس ،
وتقضى على نفسها قضاءً مبرماً شائناً .
وإذا كانت طلائع شيبى ، والغضون التى فى وجهى ،
وهى الدليل الجاد على التجربة والحكمة ،
لا تحملكم على أن تصغوا إلىّ :
(إلى لوكيوس) فتكلم أنت يا صديق روما العزيز ، كما تكلم جدنا من قبل ،
عندما ألقى بلهجته الوقور ،
فى سمع « ديدو » المنصتة ، المريضة بالحب ،
قصة الليلة المشئومة الملتهبة ،
التى فاجأ فيها الإغريق الماكرون ، مدينة الملك بريام .
قل لنا من ذا الذى غرر بنا وبأسماعنا وكأنه «سينون»[1]

---

(١) سينون : من محاربى الإغريق . عرف بقدرته على الكذب والخداع لأنه استطاع أن يدخل على أهل طروادة حصاناً خشبياً كبيراً اختفى فيه جنود من الإغريق ليدخل بهذه الحيلة جنده داخل المدينة .

ومن ذا الذى أدخل علينا الآلة الجهنمية كما أدخل
حصان طروادة
فأصابت طروادتنا — روما — بجرح الشقاق الداخلى .
لا تحسبوا أن قلبى قُد من صوان أو فولاذ .
فلست بقادر على أن أفصح عن حزننا المرير ،
دون أن تغرق كلماتى فى فيض من الدمع
فيبطل حديثى ؛ فى الوقت الذى
يجب فيه أن أحملكم على أن تنصتوا لى خير إنصات ،
وأن تعطفوا على وتواسونى .
إليك إذن ، قائد روما الشاب ، فليقص هو عليكم
القصة ؛
إن قلوبكم ستضطرب وستذرف عيونكم الدمع لسماع
كلماته .

لوكيوس : أيها المستمعون الكرام ، ألا فلتعلموا
أن شيرون اللعين وديمتريوس
هما اللذان قتلا أخا الإمبراطور ؛
وهما اللذان اغتصبا أختنا ،
وقد أعدم أخواى لما ارتكبا هما من جرائم بشعة ؛

لقد استخفا بدموع أبينا ، وسلبا فى دناءة خادعة
يده الأمينة ، يده التى أخرجت روما ظافرة فى
معاركها ،
وألقت بأعدائها إلى القبور .
وأخيراً نفيت أنا فى قسوة ؛
وأوصدت الأبواب فى وجهى ؛ وطردت من الوطن
آسياً
لأستجدى النجدة من أعداء روما ؛
فأغرقوا عداواتهم فى فيض دموعى الصادقة ؛
وفتحوا لى أذرعهم ليحتضنونى كصديق .
ألا فاعلموا أيضاً أنى أنا الذى نُفى ،
قد رعيت مصالح روما ودافعت عنها بدمى ،
وتلقيت أطراف سيوف العدو المسددة إلى صدرها :
فجعلت من جسدى الباسل غمداً لنصالهم ،
وأسفاه ، إنكم لتعرفون فما أنا بمتبجح ولا مدع ،
إن ندوب جراحى ، وإن كانت صامتة خرساء ،
تشهد على أن ما أقرره هو الحق الصادق ، والحقيقة
كاملة .
ولكن مهلا إنه ليخيل إلى أنى قد استطردت طويلا ،

معدداً مناقبي المتواضعة ؛ فاغفروا لى ؛
إن المرء إن عدم الصديق الذى يعترف بحقه امتدح نفسه .

ماركوس : والآن حان دورى لأن أتكلم ، انظروا إلى هذا الطفل !
هذا هو الذى أنجبته تامورا !
من نسل عبد كافر ؛
كان هو المدبر الأكبر لهذه المصائب وواضع خططها ؛
إن هذا الشرير ما زال حيًّا الآن فى بيت تيتوس
يشهد ، لعنة الله ، على صدق ما نقول .
قدروا الظروف إذن التى دفعت بتيتوس إلى أن ينتقم
لهذه الإساءات التى لا توصف ولا تحتمل ،
بل لا يمكن أن يطيقها بشر حى .
لقد علمتم الآن الحقيقة ، أيها الرومان فما قولكم ؟
إن كنا قد أتينا أمراً لا ترونه حقًّا فدلونا عليه ؛
إنكم إن فعلتم فسنلقى بأنفسنا ، نحن البقية الهزيلة
من أسرة أندرونيكوس ،

من هذا المكان الذى ترونا فيه ،
لنهوى جميعًا وقد أمسك كل منا بيد صاحبه ،
حتى تتناثر رءوسنا على الصخور الخشنة ،
ونقضى جميعاً على بيتنا قضاءً مبرمًا .
تكلموا أيها الرومان ، تكلموا ، إنكم إن طلبتم منا ذلك فعلناه .
انظروا ، سنلقى بأنفسنا ، أنا ولوكيوس ، يدًا فى يد .

إميلوس : كفى ، كفى ، يا رجل روما الوقور ،
بل اصحب إمبراطورنا فى رفق معك
نعم ، لوكيوس إمبراطورنا ، فإنى لأعلم جيدًا
أن هذا هو ما يطلبه الشعب وينادى به .

ماركوس : لوكيوس ، تقبل تحيتنا ، يا إمبراطور روما الملكى
(للحاشية) هلم إلى بيت تيتوس الحزين ،
وجروا ذلك العبد الكافر إلى هنا ؛
حتى يُقضى عليه بأشنع ما يكون من الموت ،
عقاباً له على حياة مفعمة بالإثم .

(تخرج الحاشية) (ينزل لوكيوس وماركوس والآخرون)

الجميع : لوكيوس ، تحية منا إليك يا حاكم روما السمح الكريم !

لوكيوس : شكرًا، أيها الرومان الكرام ، وددت لو أن حكمى
كان سمحاً كما تقولون
فأبرئ جراح روما وأمسح عنها حزنها .
ولكن ، أمهلونى قليلا ، وساعدنى ، أيها الشعب
الكريم .
فلقد حمّلتنى الطبيعة أمانة ثقيلة .
قفوا بعيداً كلكم ، إلا أنت أيها العم فاقترب منى ،
لنذرف الدمع الواجب علينا نحو هذا الجسد ،
إليك هذه القبلة الدافئة على شفاهك الباردة الشاحبة
(يقبل تيتوس)
وهذه القطرات الحزينة من الدمع على وجهك الملطخ
بالدم ،
فهى آخر ما يُقدم إليك ابنك الوفى من فروض
خالصة ،

ماركوس : وهذه دموع جزاء دموعك ، وقبلة محبة وفاء لقبلاتك ،
يردها إلى شفتيك أخوك ماركوس ،
فإن يكن ما علىّ أن أرده إليك منها
لا عدد له ولا نهاية فما زلت حريصًا على أن أرده
كله .

لوكيوس (لابنه): تعال ، اقترب يا بنى ، تعال ، تعال وتعلم منا
كيف تذوبُ نفسك حسرات فى فيض من الدمع .
لقد كان جدك يحبك حباً جماً
ولكم أرقصك على ركبتيه ، وغنى لك لتنام وقد
وسدك صدره الحنون ،
ولكم قص عليك من قصص ،
تلائم طفولتك وتسعدها ،
فاذكر هذا يا بنى ، وهلم تقدم كطفل حبيب
لتذرف من الدمع بضع قطرات من نبعك الغض ،
فإن الرحمة تقضى
بأن يشارك الصديق صديقه فى الحزن والأسى .
هلم ودّع جدك ، وأسلمه إلى القبر ؛
قدم له هذا الفرض واستأذنه فى أن تنصرف .

لوكيوس الصغير : جدى يا جدى ، كم أتمنى من كل قلبى
أن أموت أنا وتحيا أنت من جديد .
مولاى إنى لا أستطيع أن أكلمه من بكائى ،
إنى لأغص بالدمع قبل أن أفتح فمى .
(تدخل الحاشية ومعها هارون)

الرومانى الأول : يا آل أندرونيكوس المحزونين ، دعوا الأحزان

واحكموا على هذا الشقى اللعين ،
الذى دبر كل هذه المآسى الفاجعة .

لوكيوس : ليدفن فى التراب حتى الصدر ثم لتميتوه جوعًا ،
ودعوه على هذه الحال مقيدًا حتى يهذى صارخًا
فى طلب الطعام .
فإذا أسعفه إنسان أو أشفق عليه
فليمت بجريمته تلك هذا قضاؤنا .
فليتخلف هنا بعضكم ليتأكد من قيده فى الأرض .

هارون : آه ، لم يخرس الحقد ، ويسكن الغضب ؟
لست طفلا لأصلى صلوات دنيئة ،
أستغفر بها عما ارتكبت من شرور .
إننى لأتمنى أن أملك حريتى من جديد حتى أرتكب
ألفًا غيرها شرًا مما ارتكبت منها جميعًا .
ولو أننى أتيت عملا طيبًا واحدًا فى حياتى كلها ،
فهذا هو ما أندم عليه الآن من كل قلبى ،

لوكيوس : فليحمل الإمبراطور بعض أصدقائه المحبين ،
لكى يدفن فى قبر أبيه .
أما أبى ولافينيا فسيحملان

لكى يدفننا فى مقابر أسرتنا .
وأما تامورا ، هذه النمرة المفترسة ،
فلا جنازة لها ، ولا مشيع واحد فى ثوب الحداد ،
ولا أجراس تعلن الصلاة على جثمانها[1] .
دعوها للوحوش وجوارح الطير .
إن حياتها كانت كحياة الوحوش خالية من الرحمة ،
ولابد أن يكون جزاؤها كذلك خلوًا من الرحمة[2] .
ثم تأكدوا من تنفيذ العقاب فى هارون ، هذا العبد
اللعين ،
الذى بدأت به خطوبنا الجسيمة .
وبعد ذلك سنحكم سياسة الدولة إحكامًا
بحيث لا تُفسد أمورها مثل هذه الأحداث بعد
اليوم .

(يخرجون)

(١) الخطأ التاريخى هنا واضح فهذه مراسيم مسيحية إلا أن يكون الأبطال مسيحيين قد أزيح عصرهم إلى القدم .

(٢) بهذا البيت (مختلفاً) تنتهى طبعة آردن الحديثة سنة ١٩٥٧ تحقيق ماكسويل وشرحه ، ولكن هذه الأبيات الأربعة موجودة فى الطبعة التى اعتمدنا عليها طبعة آردن سنة ١٩٠٤ تحقيق بيلدون وشرحه .

رقم الإيداع		١٩٩٣ / ٨٤٩٨
الترقيم الدولى	977 - 02 - 4231 - 4	ISBN

١ / ٩١ / ٤٢٥
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

تمتاز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها نتاج عبقرية مسرحية وعبقرية شعرية معًا. فقد جمع شكسبير بين حس درامى فذ وشاعرية فائقة بالإضافة إلى معرفة بالنفس الإنسانية والسلوك الإنسانى بدرجة من العمق والإتساع جعلت من كل مسرحياته صورًا فنية رائعة للحياة الإنسانية.. حلوها ومرها.

ودار المعارف يسعدها أن تقدم للقارئ العربى أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة [illegible] عمالقة الفكر والأدب فى العالم العربى [illegible] روعة التأليف ودقة الترجمة ومتعة القراءة.